إلى القارئ

مع المؤتمر الثامن للحزب

لئن تسمى الحزب الحر الدستورى التونسى «بالحزب الاشتراكي الدستورى» فى مؤتمر بنزرت وأقر المؤتمرون بالاجماع - حينذاك - الاشتراكية مذهبا فان المؤتمر السابع للحزب « لم يكتف بتبنى الشعار بل تجاوزه الى التحليل والضبط بحيث تخدم الاشتراكية الانسان التونسى وتبقى طريقة ونظام عمل يوفران الازدهار وأسباب الكرامة من دون ضغط ولا مسخ مجانى فيكون الانسان هدفا وتبقى الاشتراكية وسيلة » .

هذا ما أكدناه فى هذه المجلة منذ سبع سنوات بالضبط غداة « مؤتمر المصير » (غرة نوفمبر 1964) وهذا ما أثبتته الاحداث والتجارب فى تونس وفى كثير من البلدان وخاصة فى تلك التى تمسكت بالعقائدية الجامدة والواحدية الفكرية المتحجرة واعتبرت الاشتراكية منظومة محنطة من المعانى الجاهزة والشعارات البراقة فأصبح الناس فيها لا يفكرون بقدر ما يتغرغرون بالفراغ ولا يعتبرون الواقع بقدر اعتبارهم للنظريات ويهملون فى آخر المطاف - وبآسم العلمانية - التقيد بأدنى ما يفرضه الروح العلمى من التجرد والدقة والضبط والتزام نواميس الطبيعة وطبائع البشر .

لذلك يسرنا - عند التمعن فى ميثاق الحزب - أن نسجل غداة المؤتمر الثامن المنعقد بالمنستير من 11 الى 15 اكتوبر 1971 وفاء القوى الحية فى البلاد لأنبل ما تنشده الاشتراكية وهو كرامة المواطن التى لن تكون إلا اذا توفر له حد أدنى من الاستقلال الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والتعادل فى الحظوظ والتعليم والثقافة والصحة وكان جزاؤه على قدر عمله وإنتاجه ، ووفاؤها كذلك وبالخصوص الى أعز ما تقتضيه حرمة الانسان وهو الحرية التى من دونها لا

تكون المسؤولية ولا الانسانية ولا الحياة الحق ، بل إن تحرر الانسان الاقتصادي ورفاهيته الاجتماعية ووقايته من الاستغلال والاحتكار والضيم... كلها وسائل تمهد الى أن يبلغ الانسان أعلى مراتب الرفعة المعنوية ويحقق إنسانيته • وهو مطلب لم يزل الحزب يسعى اليه منذ أن أسسه الرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1934 ، لم يثنه فوزه باستقلال البلاد عن مواصلة السير بل ضاعف ذلك طاقته وجدد رسالته وأضفى على قيادته أبعادا أخرى ليس أقلها شأنا ولا دونها قيمة إبداع المستقبل والتصادي مع أحلام الأجيال وأمل الجماهير •

وإن المستقبل الذي تصبو إليه الجماهير وتحلم به الاجيال الصاعدة لا يكون - من حيث القيم الروحية والمنزع المذهبي - إلا تونسيا وعربيا إسلاميا ، بحيث يضمن لهذه الأمة المناعة ويحفظ لها ملامحها ومقوماتها الاساسية من دون أن يعني ذلك انزواء ولا انغلاقا ، بل إن التنمية الاقتصادية والحضارية الشاملة تقتضي النهضة العلمية والتكنولوجية والاخذ باسبابها • وإنما الذي يجب الحرص عليه والاحتياط من الاغفال عنه ، وسط طوفان النظريات ، هو أن تبقى لهذه الأمة هويتها المتميزة وكيانها الراسخ وطرافتها الذاتية بحيث تقدر على هضم خير ما تجود به الحضارات العصرية والعلوم والتقنيات الحديثة وامتصاص الوارد او المستورد سواء من الغرب او من الشرق ، ثم هضمه وتحويله الى غذاء مستساغ وطاقة إيجابية خلاقة •

على أن شيئا من ذلك لن يكون اذا لم توجه برامج التعليم والتربية والحركة الثقافية ونشاط الشباب في البيئة الثالثة ... الوجهة القومية السديدة • لذلك كانت اللائحة الاجتماعية الصادرة عن المؤتمر الثامن للحزب من أوضح وأدق ما صدر في هذا المعنى عن كافة المؤتمرات السابقة • فقد جاء في مجال التربية بعد التعبير عن الاعتزاز بما حققته الحكومة التونسية منذ الاستقلال في خصوص نشر التعليم وتعميمه والتمعن في النتائج الكيفية •• « أن التعليم في تونس لا يمكن إلا أن يكون قوميا في الاسس الحضارية التي يستند اليها ، قوميا في الاغراض الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي يعمل على تيسير

إدراكها ، قوميا فى لسانه العربى ، وأن يستمد أصالته من الحفاظ على مستنداته الحضارية ومن الاستفادة من الرقى الفكرى فى أشمل مظاهره ۰۰۰ ويذكر المؤتمر بأن العربية هى اللغة الرسمية للدولة والأمة حسبما نص عليه الدستور ويوصى الحكومة بأن تسن فى أقرب الآجال عقب هذا المؤتمر خطة قومية عامة يقع تحقيقها على مراحل ميسورة ترمى الى جعل العربية لغة التعليم والادارة والبيئة الثقافية والاجتماعية بالبلاد » ، كما أكد المؤتمر أن الاستقرار المنشود فى التربية القومية إنما هو « استقرار فى اختياراتها وأغراضها وفى محتوياتها وأساليبها » ۰

اما فيما يتعلق بالثقافة فقد أكد المؤتمر « أن الثقافة باعتبارها احدى الدعائم التى تقوم عليها عملية النهوض الشاملة لكل المقومات الاقتصادية والفكرية والروحية معا هى غاية فى حد ذاتها تعبر عن ذاتية الأمة ، وتربط حاضرها بماضيها ومستقبلها ۰۰۰ » وأوصى خاصة « بمواصلة العمل للمحافظة على الأصالة وابراز الذاتية والشخصية القومية إحياء لحضارتنا العربية الاسلامية حتى تستطيع مواكبة العصر » ۰۰۰ كما أوصى ۰۰۰ « بالسعى الى ابراز ثقافة قومية لها مقوماتها الاساسية وخصائصها المميزة ودعائمها المتينة » ۰

وكذلك فى خصوص الشباب فقد عبر المؤتمر عن إيمانه « بوجوب غرس جملة من القيم والخصال الاخلاقية السامية فى شبابنا الطالع حتى يكون ذخيرة ، والتبصر وقوة العزيمة والتجرد وتغذية عناصر الشباب بالاصالة القومية والمبادىء الحزبية والروح النضالية ليحتل المكانة الاولى ويقوم بدور المحرك الاساسى داخل المجتمع » ۰ ويرى المؤتمر وجوب تقوية شخصية الشباب و « جعل هذه الشخصية منبثقة من قيمنا الروحية والحضارية ومتماشية وواقع بلادنا المتجدد » الامر الذى يكفل « تكوين شباب ملتزم متطور ومؤمن بمستقبل الأمة » ۰

وقد يرى بعض المتبهرين ببضاعة الاغيار أو المتأثرين الى درجة الانتماء

بالمذاهب الاجنبية شططا في تأكيد القومية أو خطرا يهدد بالتحجر والانغلاق وانسداد الآفاق • ولا يسعنا إلا الاشفاق على هؤلاء المنبتين ، ضحايا الاستعمار ، وأيتام الوطنية الصميمة ، والتأكيد لهم - ولغيرهم - بأن الأصالة كما وضحها المؤتمر عين ما تريده الأمة وينادى به الضمير القومي ويرنو اليه خيال شبابنا الطالع الذى يأبى التفسخ ويرفض الاستهلاك السلبى ولا يريد شيئا كما يريد أن تكون له شخصيته المتميزة ولا يطمح الى شيء كما يطمح الى المساهمة في تجديد القيم القومية ونمو الفكر التونسي وتجذره وإشعاعه •

فاذا ما اتفقنا على الهدف البعيد وكانت لنا أرضية عقائدية ومذهبية مشتركة واتحدت مشاعرنا وتفطنا الى عوامل الضعف وأخطار الزيف والزيغ واذا ما خرجنا من المؤتمر الثامن أوفر ثقة وأعمق محبة وأكثر التفافا حول بورقيبة،الرجل الذى خلق الحزب وأيقظ الجماهير ونظم صفوفها ومكنها من أن تحيا وتجاهد في سبيل مثل أعلى هو الاستقلال السياسي ثم الكرامة والحرية وإذا بقينا على إيماننا بالوحدة القومية وتجدد رسالة الحزب ••• وجب أن نقوى على الانضباط والانسجام والانقطاع للصالح العام ونجتنب كل ما من شأنه أن يخلخل القيادة ويمس بهيبة الدولة التى من دونها ومن دون إشعاع رجالها واستقامتهم ونظافة يدهم لا يستتب أمن ولا يكون استقرار ولا حرية أو ديمقراطية •

لقد صادق المؤتمر بالاجماع على ميثاق يتعين علينا جميعا أن نتمسك به وأقر برنامجا اقتصاديا واجتماعيا طويل النفس حدد معالمه وضبط محتواه السيد الوزير الاول في تقريره الضافي الى المؤتمرين فمن الواجب أن نعمل على تحقيقه ونوفر له أسباب النجاح ، وذكر المؤتمرين ، كل المؤتمرين بدون استثناء ، بالأصول الحضارية والقيم العليا التى يجب أن تلتزمها سياستنا التربوية والثقافية حتى تنشأ الأجيال الصاعدة على الوفاء والتجدد فلا أقل من الاخلاص لما نادى به ضمير الأمة والاقدام على ما لا بد منه اذا أردنا لوطننا المناعة والسؤدد على المدى البعيد •

وهكذا تبدو قضية الاشخاص ثانوية عرضية ؛ انها لا تمت الى الديمقراطية بأدنى سبب لأن الاحزاب تختلف باختلاف المذاهب وتتعدد بتعدد المنازع والنظرة الى الوجود • أما نحن فى تونس فكل شىء يجمعنا : الدين ، اللغة ، التاريخ ، وحدة النضال ، الآلام والآمال المشتركة ، التصور الواحد للكرامة الانسانية والاتفاق الشامل على ضرورة الوحدة القومية •• واذن فيجب أن نجتنب التعددية الفئوية التى لا تقوم على الاختلاف فى المبادىء بل تتفرع عن الانتماء للاشخاص والعصبية الطائفية أو الجهوية والقبلية وهى شر من تعدد الاحزاب والنقابات لأنها عين الجاهلية والتخلف ، وأبعد ما تكون عن جوهر الديمقراطية ، والحياة السياسية السليمة •

وإذا كان الطموح الفردى - فى مجال السياسة خاصة - أمرا طبيعيا فعلى شرط أن يظل مدخلا لتحقيق غاية تتجاوز الافراد أنفسهم وإلا أصبح مطمعا ورذيلة وشتان بين المطامح التى تهدف الى ما وراء الذات الفردية والمطامع التى تحركها الأنانية !

وعلى ضوء ما سبق وجب أن نتذكر ما أوصى به الرئيس الحبيب بورقيبة فى افتتاح المؤتمر الثامن للحزب من وجوب التحلى بالاخلاق الفاضلة اذ السياسة طريق الى الخير وبذل ونكران ذات ؛ والسياسى الأصيل المخلص إذ يحلم بالمستقبل ويسعى الى مغالبة التخلف والسير بوطنه الى ما يحبه ويرضاه ••• هو الذى يقدر على التمسك بالعقل وتسليطه على الهوى الذى هو آفته وجعله « متبوعا لا تابعا وزماما لا مزموما » كما قد يقول أبو بكر الرازى •

فعسى أن يكون القادة فى مستوى الامانة القومية الخالدة وعند حسن ظن الجماهير الواعية حتى تواصل الأمة مسيرتها نحو الكرامة والمناعة وعسى ان ينهض رجال الفكر والأدب برسالتهم الخطيرة فى مجتمعهم النامى التائق الى العزة والسؤدد والانسانية السليمة •

محمد مزالي

وحمرة !

شعر : منور صمادح

من وحى أفئدة جبلن على الالم
وحبلن بالاسرار يفضحها القلم
ترمى بمنفلق الصواعق تلتظى
من كل رائعة تشق بها الظلم
قدت من الجأش الحريق وألهمت
من سر نهيتها البيان من الكلم
يا صبح لا تطلع .. فملء جوانحى
نور الحقيقة ، لا ضباب ولا سدم
إن همت وحدك فى دجاها ضاربا
لم تدر أين ؟ أفى الوجود ؟ أفى العدم ؟
وسعيت مشدود الخطى متعثرا
كل امرىء زلت به يوما قدم ...
من ذا الذى لم يمتحنه زمانه ؟
من ذا الذى فى ساعة لم ينهزم ؟

* * *

هذى الحياة وقد خبرت صروفها
وظروفها وهتكت فيها ما انكتم
إثنان : إما صامد لا ينثنى
أو خانع يحنى الجبين لمن ظلم
إفتح فؤادك للحياة وخله
للفجر يرشف من سناه ويستحم
للافق يحتضن الوجود ويجتلى
سر الجمال مرددا حلو النغم

حتـــام تحيـــا فـــى الظـــلام مصفـــدا
ولـديـك هـاتيك المفاوز والقمـم ؟

مـا لـــذة الـدنيـا وعيشـك خـانـع
والفكـر مضطهـد وقلبـك فى صمـم

أنـت الحيـاة بكـل صـــوت غـــردت
أنـت الـربيـــع بكـل ثغـر يبتسـم

فــي روحـك الصـادى جـراح صبـة
فتحـت عـلى الالـــم العظيـم وتلتئـم

لا زال قلـب المــرء يلهمـــه العـــلى
مـا دام يحيـــا للمكـــارم والـــذمـم

مـا ظفـر الاحـرار غيـــر طمـــاحهم
وكفـاحهـم فى الغـاليـات مـن القيـم

* * *

قالوا : صلبت ! فقلت : امنحهم دمى
لـو كـان يجـدى أن أخلصهـم بـدم

هـى الحيـاة ولـم تفـدهـم ! كيـف لى
بالموت أنفع ؟ ليس تنتفع الـرمم ...

قـالـوا : ظلمت فقلت : لست بلائـم
فالناس قد عرفـوا المظـالم من قـدم !

قـالـوا : سلوت ؟ فقلت كل صغيرة !
وكبـرت فى طلب الفضائـل والشيـم

قـالـوا : هجرت ؟ فقلت تونس قبلتى !
قـالـوا الجزائر ؟ قلت : مفخرة الأمم !

أهـلى هنـا ، وهناك نبع صبـابتى ..
من قال : إنـا أمتـان فقـد ظلـم ...

وطنـى الكبيـر أجـل مـن أطمـاعهـم
تبـت يـد تمتـــد نحـوك يـا حـرم !

مـن أرض بنـزرت المتـوجـــة الـذرى
تهفـو حنينـــا نحـو أطلسهـا الأشـم

من أبحر الصحراء ينشد موجها
(مالى) وتدنى (تشاد) حبلى بالنعم

(لوراس) قد ناجى بها (عرباطة)
فأجابه (عرباطة) : مرحى نعم

أقسمت بالزيتون جلله البهآ
بالراسيات من الجبال وبالأكم

بالغاب ، بالظل المديد على الحمى
عبر (الشمال) وقد تناسق وانسجم

بالدين ، بالتاريخ ، بالامل الذى
من اجله مات الشهيد على القسم

ما عشت أجتاح الفواصل موصلا
ما بيننا حبل الاخوة والرحم

لا الزائفات من الحدود تصدنى
لا الحفر لا تلك الحواجز والنظم

وطنى الكبير وإن تناثر عقده
لا بد من يوم يعود فينتظم

عاصمة الجزائر فى : 2 – 12 – 1967

م. ص.

أهدانا الكاتب المغربى الصديق

عبد الكريم غلاب

قصته الجديدة :

المعلم على

نشكره على هديته وعلى توفيقه فى تصور معركة المصير واستشفافه أبعاد الانسان المغربى من خلال أبطاله وقضاياهم . وهذه القصة هى فى مثل نفس قصته دفنا الماضى الغزيرة بالمعانى والطافحة بالعبر التى صدرت منذ ثلاث سنوات ونحن نهنئه على هذا الاطراد فى الانتاج ونتمنى له كل نجاح .

أبو بكر بن زكريا الرازي

بقلم : الدكتور سليم عمار

كان أبو بكر محمد زكريا الرازي « 250 ـ 313 هـ » « 864 ـ 925 م » أوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء من المنطق والهندسة والفلك والكيمياء والفلسفة ولا سيما الطب فهو يعتبر من اعظم الاطباء المسلمين الناطقين باللغة العربية ان لم يكن أكبرهم ولد وشب بالري (Ray) من اعمال طهران ببلاد الفرس وذكر ابن جلجل انه كان في اول شبابه يحسن العزف على العود ثم نزع عن ذلك ولما بلغ العشرين من عمره قدم الى بغداد وكان قد درس الطب على الحكيم العلامة المشهور علي بن ربن الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة الذى فتح عصر التأليف والابتكار في تاريخ الطب العربي ويعتبر الطبرى ما بين الاعلام الفارسيين الاربعة الذين ذاع صيتهم في العالم المتمدن كله وهم بالاضافة لعلي بن ربن الطبرى أبو بكر الرازى وعلى بن عباس المجوسي والرئيس الشيخ علي أبو الحسن عبد الله بن سينا .

ولقد تعلم الرازى عن على بن ربن الطبرى وصار يتعمق في الطب والفقه والفلسفة ثم سرعان ما اصبح رئيسا لاطباء بيمار ستان الري ثم انتقل الى بغداد وعين رئيسا للبيمار ستان العضدى ـ وحكى ان عضد الدولة استشاره في المكان الذى يمكن ان يبنى فيه البيمار ستان فأمر الرازى ان يعلق في كل ناحية من نواحي بغداد شقه لحم ثم اعتبر التي لم يتغير ولم يفسد فيها اللحم بسرعة فأشار بان يشيد المستشفى في ذلك الموضع ثم قيل ان عضد الدولة لما بنى البيمار ستان العضدى المنسوب اليه اراد ان يكون فيه افاضل الحكماء واعيانهم فأمر بحضور ما يقرب عن مائة منهم فاختار منهم خمسين بحسب ما علم من جودة تجاربهم فكان الرازى منهم ثم انه اختار من هؤلاء عشرة فكان الرازى منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازى منهم ثم انه ميز فيما بينهم فتبين له ان الرازى افضلهم فجعله رئيس البيمار ستان العضدى وحكى محمد بن الحسن الوراق قال : « لى رجل من اهل الري شيخ كبير سألته عن الرازى » قال : « كان شيخا كبير الرأس مسفطا وكان يجلس ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان

عندهم علم والا انتقل الى غيرهم فان اصابوا والا تكلم الرازى فى ذلك وكان كريما متفضلا بارا بالناس حسن الرافة بالفقراء والاعلاء حتى كان يجرى عليهم الجرايات الواسعة » ٠

وتوفى أبو بكر الرازى وقد بلغ ما يزيد عن الثمانين سنة فيختلف المؤرخون فى تاريخ وفاته (ما بين 923 و 932 م) لكن هناك اتفاق على انه اصيب بالعمى فى آخر ايامه ولقد رفض القدح قائلا : « لقد ابصرت من الدنيا حتى مللت » وجاء فى رواية اخرى ان الرازى لما تقدم اليه الطبيب لقدح عينيه (Opération de la Cataracte) وقد نزل بهما الماء الازرق امتحنه فى بعض المسائل المتعلقة بتشريح كرة العين ولما ثبت له جهله صرفه ورفض العملية ٠

وقد اجمع المستشرقون والمشتغلون بتاريخ الطب على ان أبا بكر الرازى اعظم طبيب انجبته النهضة الاسلامية بلا شك ولا استثناء فوضعه بعضهم على قدم المساواة مع ابقراط ولقد بلغت مؤلفاته المذكورة فى الفهرست 113 كتابا و 28 رسالة وقصيدتين ولقد فقدت معظم هذه الرسائل والاسفار وبالرغم أنه لم يبق منها الى الآن الا القليل فهو كاف على التدليل بعظمة هذا الرجل وعلو مكانته وعبقريته ومن اشهر تاليفه كتاب الحاوى (Continens) والجامع (Compendium) والمدخل (Introduction) والكافى (Suffisant) والملوكى (Liber regius) والفاخر (Splendide) وكتاب المنصورى (Almansoris) وكلها كتب جليلة فاخرة لها قيمة فى علوم الطب وصناعته ويعتبر كتاب الحاوى اعظم تأليف فى صناعة الطب ذلك انه جمع فيه ما وجده متفرقا فى ذكر الامراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه هذا مع ان الرازى توفى ولم يسمح له الاجل ان يحرر تماما هذا الكتاب وقال ابن أبى اصبيعه : « يرجع الفضل فى اخراج هذا الكتاب الى ابن العميد لانه كان حصل بالرى بعد وفاة الرازى فطلبه من اخته وبذل لها دنانير كثيرة حتى اظهرت له مسندات الكتاب فجمع تلاميذه الاطباء الذين كانوا بمدينة الرى حتى رتبوا الكتاب وأخرجوا هذا التأليف على ما هو عليه من الاضطراب٠

ويتألف كتاب الحاوى من اثنى عشر جزءا وتوجد الآن اجزاء متناثرة منه فى بعض متاحف اوروبا وبعضها مفقود تماما واشار المستشرق براون الى أنه من المحتمل ان تكون ضخامة هذا الكتاب وتكاليف نقله قد جعلت اقتناءه من أصعب الامور لا يقدر عليه إلا الاغنياء واضاف قائلا : « انه جاء فى كتاب كامل الصناعة ان على بن العباس المجوسى الطبيب الفارسى المشهور الذى ألف بعد

وفاة الرازى بخمسين او ستين سنة قال انه لم يذكر انه كان فى عهده من كتاب الحاوى الا نسختان كاملتان فقط منسوختان على الكاغذ (الورق) كما كان يجرى به العمل فى ذلك العهد وكتاب الحاوى موسوعة عظيمة فى العلوم الطبية وكان عمدة الاطباء فى النقل منه والرجوع اليه عند الاختلاف وكان احد الكتب التسعة التى حوتها مكتبة شعبة الطب بباريس سنة 1395 م وقد ترجم الحاوى الى اللاتينية مرتين سنة 1452 م الاولى والثانية فى سنة 1486 م وحفظت بمكتبة (Bodléeїne) باكسفورد بعض الصحائف التى يعتقد انها فصول من الجزء الرابع من الحاوى وعنوان هذه الصحائف امثلة من قصص المرضى ونوادر قيمة فى وصف الامراض ومعالجتها ٠

ولقد كتب الرازى مقالات قيمة فى علم النفس نخص بالذكر منها رسائله فى « العقل » و « اللذة » و « الادراك » و « الحالات الوسواسية » كما انه كان يمنع شرب الخمر للمصابين بداء السوداء وبحالات الخمود والانهيار العصبى كما ان الرازى كان يشير بلعب الشطرنج الى هؤلاء المرضى الشىء الذى اكدته التجارب الطبية فى عصرنا هذا (Ludotherapie-Sociotherapie)

وكان الرازى عبقريا لامعا وعالما شجاعا كان يهاجم الدجالين فتعمق كثيرا فى علم الحيل ونشر مقالات عديدة فيه ونوادر قيمة لطيفة ، كما انه كتب رسالتين مشهورتين فى الحيل عند الانبياء اقتبس منها اصول تأليفه فى نقد الاديان الذى تعرض له كثيرا أبو حاتم الرازى فى كتاب علم النبوة ٠ ويبدى أبو بكر الرازى هناك شجاعة عظيمة فى تحليله مصادر النبوة وموقفها حتى كان يفضل الفلاسفة والعلماء على الانبياء ويقدر دورهم البشرى الى اقصى حد فيجعله اعلى وارفع ما يتصوره الانسان الشىء الذى كاد ان يؤدى به الى ان يتهم بالزندقة وكان فى ميدان الفيزيا يؤمن بالفراغ (le vide) قبل ان يتصوره اى عالم فى ذلك العهد ٠

اما مصنفاته فى الفلسفة فهى لا تقل شهرة وتعمقا عن مؤلفاته الاخرى نخص بالذكر منها « الطب الروحانى » و « رسائل الفلاسفة » و « السيرة الفلسفية » حيث يتعرض فيها الى مزايا العقل وصفاته وكذلك الى خصال الحكماء والى نصائح قيمة فى ميدان الاخلاق وسيرة البشر بصفة عامة ويبدو فيها بالاشارة الى طرق نيرة تعتبر طرق علمية حديثة للوقاية من الاضطرابات العقلية والشذوذ النفسى ٠

فكذلك اصبح الرازى يعد بحق من اكبر اطباء الفرس بل العرب • كما أنه ولا شك من انبغ العلماء الذين عرفهم العالم فى التاريخ الطبى بصفة عامة فلم يكتف الرازى باتباع الاوائل ولكنه اعتمد ايضا على التجريب والاختبار الشخصى • وله ايضا مصنفات شتى فى الرياضيات والفلك والكيمياء •

ومن اشهر مؤلفاته ايضا كما ذكرناه سابقا كتاب المنصورى الذى كتبه للامير منصور بن اسحق حاكم خراسان وقال ابن خلكان ان الرازى صنف كتابا فى الكيمياء لمنصور بن اسحق فاعطاه ألف دينار ليخرج اليه ما يحتاج من الآلات اللازمة لاصدار ما فى الكتاب من صناعة فعجز الرازى عن ذلك فأمر منصور بضربه بالكتاب على رأسه الى ان يتقطع الكتاب ويحكى ان ذلك الضرب تسبب فى نزول الماء فى عينى الرازى وقد ترجم الكتاب المنصورى الى اللغة اللاتينية سنة 1489 • ومن اشهر الرسائل التى ألفها الرازى فى الطب رسالته الذائعة الصيت عن الجدرى والحصبة • وقد نشر النص العربى لهذه الرسالة مصحوبا بترجمتها اللاتينية سنة 1766 وقبل ذلك سبق ظهورها باللاتينية فى مدينة البندقية سنة 1565 وكذلك نشرتها باللغة الانجليزية جمعية (Sydenham) الطبية سنة 1848 ولقد وصفها المؤرخ الطبى المشهور (Neuburger) فقال : « ان هذه الرسالة تعد حلية فى جيد الطب العالمى وان لها اهمية عظمى فى تاريخ الامراض الوبائية لانها اول بحث فى مرض الجدرى وانها لتشير الى ان الرازى كان عفيف الضمير بعيدا عن التعصب والحيل وانه من اولئك الناس القلائل الذين ساروا على سنة ابقراط العظيم » ومن رسائله المشهورة ايضا مقالة فى الحصى فى الكلى والمثانة ولدى دار الكتب المصرية نسخة للنص العربى مع ترجمته للفرنسية بليدن (Leyden) سنة 1896 على يد المستشرق (P. de Koenig) •

ويعد الرازى اول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب (Catgut) وهو ايضا اول من عمل مراهم الزئبق وسبق غيره من رجال الكيمياء الى كشف حامض الزاج (Acide Sulfurique) واكتشاف الكحول (Alcools) وهو اول من انشأ مقالات خاصة فى امراض الاطفال واول من عرف الاصابة بالعرق المدينى (Filaire de Médine) ومما روى فى مقدرة الرازى ما وصفه القاضى أبو على التنوخى قال حدثنى بعض الاطباء الثقات ان غلاما من بغداد كان عليلا فقدم الرى وهو ينفث الدم وكان قد لحقه وهو فى طريقه فاستدعى أبا بكر الرازى فأراه ما ينفث فاستوصف حاله منذ ابتداء العلة فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل يفكر فى الامر من

غير جدوى ففكر الرازى مليا ثم سأله عن المياه التى شربها فى طريقه فأخبره انها من مستنقعات ففهم الرازى ان علقة كانت فى الماء وقد حصلت فى معدته وان ذلك النفث للدم من فعلها ، والمعروف ان الرازى تمكن من اخراج هـذه العلقة بعد ما ارغم العليل ان يشرب قهرا كمية وافرة من الحشائش فى شكل الطحلب حتى ان العلقة دبت الى الطحلب بالطبع لما وصل اليهـا فى حلـق العليل فتركت موضعها فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض المريض متعافيا .

وللرازى كلمات مشهورة فى العلاج منها قوله : « مهما قدرت ان تعالـج بالاغذية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب » ومنها « اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلـة » ومنها ايضا « ان من العلل ما تجتمع فى الايام وتبرأ فى ساعة » وكذلك « ان الاطباء الاميين والمقلدين والاحداث الذين لا تجربة لهم ومـن قلـت عنـايته وكثرت شهوته قتالون » واخيرا « ينبغى للطبيب ان يوهم المريض ابدا الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس » .

ولقد قيل ان الطب كان معدوما فأحياه جاليـنوس وكان متفرقـا فجمعـه الرازى وكان ناقصا فاكمله ابن سينا .

س . ع .

من ديوان أفواف الزهر

وراء السراب

شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي

وكنتَ .. وكنتُ .. وكان الهوى   على غفوةٍ من رصيدِ القدرْ
وكنتُ أنا عنك في غفلةٍ   إخالك من بعض هذا البَشرْ
ولم أكُ بعدُ سوى غِرّةٍ   وإنْ كنتُ جاوزتُ حدّ الصِغرْ
وأحسستُ في خافقي هِزّةً   تلاشى كِياني بها وانحسر
وألفيتُني غير تلك التي   وأنكرتُ أمسي كأنْ قد غَبَرْ
وتهتُ أنا في ضباب السنين   وغامتْ رؤى وتجلّتْ صُوَرْ
وأنكرتُني وأنا لم أزلْ   على الدرْب أبحث لي عن أثر
ودربي عليّ سبيل سَوِيّ   سَوِيّ به الصعب والمنحدر
وقلتَ لِعينيّ ثم انثنيت   تكاد تدنني بعض ما قد ظهر
وقلتُ لعينيكَ ثم انطويت   على السِّرّ أدفنه في حذر
ومَسّتْ يداك يدي للوداع   ومَرّتْ ليالٍ وجاءت أخَرْ
وعزّ علينا اللقا فانثنيتُ   ولا أمَل ثمّ أو مُصْطَبَر ..
وخبّ بنا الركبُ .. ركْبُ الزمان   يُبَاعِدُ ثم يُعَنّي الأثَرْ
وما زال يسعى بنا سَعْيَهُ   أما آن أن يرعوي أو يَقَرّ ؟
وكنت .. وكنتُ وكان اللقاء   على غفلةٍ من رقيب القدر
وقلت لقلبي فكان الجواب   تتمتمه خلجات النظر
ومسّت يداك يدي للبقاء   على العهد ما امتدّ فينا العُمُرْ

وأقسم قلبي يمين الولاء وآلى على نفسه أن يَبَرّ
وكنتَ وكنتُ وكان الفداء
لقلبك قلبي .. وضاع العُمُرْ
وعشتُ على الوهم .. دنيا هُراء
وخُلّب برقٍ وطيفاً يَمُرّ
أقول عسى ولعلّ الرجاء
يُطالعني عَبْرَ هذي الصُوَرْ
ومازلت ألهث أقفو السراب
ولمّا يَلُحْ نبعيَ المنتظر ..

ع٠ خ٠

جامعة بغداد

أهدانا الاستاذ الباحث :

أحمد عبد السلام

الباب السادس من :

إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان

« دولة أحمد باى »

تاليف أحمد ابن أبى الضياف

نشكر الاستاذ على هديته وإفادته التاريخ القومى بما أتحفنا به من مقدمة وتحقيق وملحقات وفهارس تعين الباحثين والقراء على تصور أقرب الى الموضوعية ونرجوأن تجد الاجزاء الاخرى من كتاب ابن أبى الضياف من يقوم بنفس العمل العلمى الذى قام به الاستاذ أحمد عبد السلام ٠

الاستاذ محمد عبده

(1905 ـ 1849)

بقلم : رشيد الذوادي

فى فترة من تاريخ ثقافتنا العربية وأيام الحرب العالمية الاولى ، كان السائل يسأل : من أكتب الكتاب فى لغة الضاد ؟ ومن أبرعهم نطقا وأفصحهم لسانا ؟ وكثيرا ما تردد بين أغلب مثقفى تلك الفترة : انهما اثنان الكاتب الذائع الصيت : الشيخ « على يوسف » ، صاحب جريدة « المؤيد » والاديب اللامع : مصطفى لطفى المنفلوطى صاحب « النظرات » و « العبرات » و « المختارات » و « ماجدولين » و « فى سبيل التاج » الخ ...

وكانت معارك ومطارحات أدبية ممتعة لا بد منها لتصحيح التقدير فى موازين الادب والادباء ، وكثيرا ما ترددت اسئلة السائلين بعد هذه الفترة عن « رواد الاصلاح » ، الذين عملوا على نشر الدين الحى النافذ الاثر ، لا الدين المحفوظ فى رواسم وصيغ فيتساءلون عن اعلام نزعة التجديد والاصلاح ، فى البلاد الاسلامية ؟ وعن أرض الدين الحق ؟ وعن أولئك الذين حملوا مشعل النضال ضد المستبدين والجائرين ، وقاوموا أنظمة الحكم الفردى والوراثى وما تبعهما من فساد وجور واعتساف ؟

وكانت مناقشات حادة وشطحات صوفية بين المعممين والمطربشين، والقدامى والمجددين ، وفى وسط هذه الحركية الزاخرة والنقاش البناء ، كان يتردد على الشفاه دائما أسماء عدة ، فهذا جمال الدين الافغانى ، وهذا محمد عبده ، وهذا عبد العزيز جاويش ، وهذا السيد رشيد رضا ، وهذا عبد الرحمان الكواكبى ، وهذا عبد الحميد بن باديس والشيخ عبد العزيز الثعالبى ومحمد بيرم الخ ...

لقد كان كل هؤلاء ممن اشتغلوا بهذا الهدف السامى النبيل .. فكان زحام على السبق ، وتصحيح لتقييم الحقيقة ، وتطوح للتنويه بمن اوقفوا حياتهم من أجل الغير ، وتفانوا فى محاربة الرجعيين والسماسرة والظالمين .

وكان لا بد للامام محمد عبده ـ بما عرفنا عنه من بعد نظر ، وضمير حي ، ووطنية صادقة ، وايمان عميق بالمثل العليا ـ أن يحتل الصدارة لهذا المجد لتصحيح البعيد عن التضليل والزيف وعن كل ما يشين في هذا العصر المضطرب الذى عرف انهيار السلطة العثمانية ، وتقسيم الممالك الاسلامية بين الدول المستعمرة ، وتفقير الشعوب ، واستبداد الحكام وجورهم الذى لا يوصف ولا يقف عند حد ٠

لقد كانت شخصية هذا الرائد الشجاع ذات طابع خاص يميزها عن باقي الشخصيات الدينية الاخرى في هذا القرن ٠٠٠ انه ثائر حر ٠٠ ناضل في كل ميدان ، وخاض معترك الحياة بعزيمة لا تفل ، اذ ما أفنتها قوة الخصم ، وما ارهبتها المظالم ولا الحرمان أو الايقافات والسجون ٠

انه شق عصا الطاعة في وجه الانقليز ، وحمل على عملائه من حكام مصر ، ونادى باصلاح التعليم في الازهر وفي غيره من الجامعات والمعاهد في الشرق وارتحل الى عديد الاقطار للتعريف بمنهجه الاصلاحي ، كما نادى بفتح باب الاجتهاد ، وأعلن الثورة عن كل قديم بال ، قصد اعداد جيل يشعر بمسؤوليته ، ويذود عن حياض أمته العربية الاسلامية ، ويؤمن برسالته في هذا الوجود الذى تتقاذفه الاهواء والمطامع من كل جانب ، كل ذلك من أجل تحقيق الكرامة ، والغد الافضل المشرق للانسان العربي في كل مكان ٠

انه ايثار ، وثورة ، وطموح ومد مارد تجاوز الحدود والابعاد ٠

وأمام هذا العمل الجبار الضخم في شتى المجالات كانت أسئلة المتشوفين تنهمر كالمطر الغزير لتستوضح عن معالم الطريق لتتقدم في دربها الطويل الصامت ، ومسيرتها الدائبة الصامدة ٠

ترى من يكون هذا الاستاذ الذى يجيد الفرنسية كتابة ونطقا ، ويسيح في بلاد أروبا ، ويترجم آثار مفكريها ، وينقل عن فلاسفتها ، ويباحث علماءها ويفتى بما لم يقل به أحد من المتقدمين ، ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ؟

انهم رأوه يعمل في كل مكان ، ويتسع صدره لكل الناس ، ويقضي أوفر وقته في خدمة الغير والتفاني في اعلاء شأن الاسلام والمسلمين ٠٠٠

وازدادت معالم هذه الشخصية الفذة تبرز مع مرور الايام وتوالى السنين ... انه علم من اعلام النهضة الاسلامية وقائد من قادة الفكر العربى العظام وزعيم من زعماء الاصلاح وهو فوق كل ذلك فيلسوف انسانى مجدد ، وكاتب اجتماعى مبدع ، وخطيب ثائر مصقع ، ومتحدث بارع ، ومجادل مقنع .. انه الامام محمد عبده ثائر الشرق وتلميذ جمال الدين الافغانى : (1839 ــ 1897 م) وصديقه الحميم ، وزميله فى النضال ضد انحلال القومية ، وتفرق الكلمة والاستسلام للرجعية والاستعمار .

عاش محمد عبده سبعا وخمسين سنة قضاها جميعا فى التعلم والتدريس وفى اعلاء شأن الاسلام ونفع أبنائه : (1849 ــ 1905 م) .

فقد كانت حياة هذا المصلح كالشعلة المضيئة ، والقوة اندافعة صنعها بقلبه وفكره ويده ، شأن كل فنان موهوب حينما يريد أن يصنع تحفة رائعة أخاذة .. انها حافلة بالسعى والجد فيما ينفع الناس والدين .

* * *

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ ميلاد هذا العبقرى الفذ فبينما يرى بعضهم ــ ومنهم « جرجى زيدان » فى مجلة « الهلال » و « ابراهيم اليازجى » فى مجلة « الضياء » و « رشيد رضا » فى كتابه عن الامام محمد عبده ــ أن ميلاده كان عام 1849 م ــ يرى البعض الآخر أنه من مواليد سنة 1842 م على أن معظم المؤرخين اتفقوا على أنه ولد وتربى «بمحلة نصر» ونشأ فيها شأن عادة كل أطفال الريف ، ولم يكن والداه من الاثرياء ولا من العظماء ، ولا من أصحاب الجاه والسلطة ، فلقد كانا عاديين كبقية الناس المتوسطين وأن كل ثروتهما يساوى « أربعين فدانا » وان والده « عبده خير الله » قد هجر أرضه فرارا من ظلم الحكام وقسوتهم وتعسفهم .

ويشيد بعض المؤرخين ، ومنهم الدكتور « تشارلز آدمس » ــ بالخصال الحميدة التى يتمتع بها أبوا محمد عبده حيث يقول : « ويظهر أن أبوى محمد عبده كانا على خلق عظيم وإن لم يكن لهما حظ من العلم شأن الكثرة من العامة ومن أوساط الناس فى مصر حتى فى عصرنا الحاضر (1) » .

---

(1) الاسلام والتجديد فى مصر تأليف تشارلز آدمس ترجمه عباس محمود العقاد ص 29 .

واهتم والداه بتربيته فبعد أن استكمل معارفه الابتدائية الحقاه « بالجامع الاحمدى » فى « طنطا » ، ثم تخلى عن الدراسة واشتغل بالزراعة عدة سنين الى أن تداخل أحد أخوال أبيه وهو « الشيخ درويش خضر » وقد استطاع هذا الاخير ان يحبب اليه العلم وأن يبث فى نفسه المعانى الروحية السامية ، وقد تحدث محمد عبده عن فضل هذا الرجل وعما أسداه اليه من نصح وتوجيه فى ترجمته التى خطها بقلمه اذ قال : « ... تفرقت عنى جميع الهموم ولم يبق الا هم واحد ، وهو أن أكون كامل المعرفة .. كامل أدب النفس .. ولم أجد اماما يرشدنى الى ما وجهت اليه نفسى سوى ذلك الشيخ الذى أخرجنى فى بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد ... هذا هو الاثر الذى وجدته فى نفسى من صحبة أحد أقاربى .. فهو مفتاح سعادتى ان كانت لى سعادة فى هذه الحياة ... » .

وتأتى سنة 1866 م فيلتحق « بجامع الازهر » ويقضى فيه ثلاث سنين دون أن يجنى فائدة كبرى من دروسه ثم يحل الرائد العظيم : جمال الدين الافغانى بمصر لاول مرة سنة 1869 م فيتصل به هذا التلميذ الازهرى ويجد فى علمه وفى أفكاره ما جعله يتشوف الى الحياة الحقة التى ينشدها كل ثائر حر فى الوطن العربى .

اتصاله بالافغانى :

أحس جمال الدين الافغانى بحيرة هذا الشاب وبولوعه بالمعرفةالصحيحة فوجهه توجيها صائبا نحو الحياة المثلى وقد أمكنه – وبفضل طرائقه البيداغوجية المثالية – أن يدربه على تحرير المقالات وعلى الخطابة حتى يهيئه ويعده لنمستقبل .

وادرك الشاب الازهرى هذه الطرق الجديدة فى التعليم التى يسعى جمال الدين لغرسها فى الناشئة قصد اعداد الرجال الذين يمكنهم قيادة الشعب والنهوض بالبلاد ، ووجد عنده ايضا نظرة أخرى عميقة الى الحياة لم يرها عند غيره ، وتأثر به أيما تأثر،فاقبل على الحياة،وانكب على العلوم وخاصة العصرية منها ، وتطلعت نفسه الى آفاق اخرى لم يجدها فى الازهر ... انها الاجواء التى كان يتمناها كل متعطش للمعارف والعلم .. فاتجه اتجاها جديدا .. انه أقبل على التمرن على الخطابة ليكون خطيبا ثوريا ، كما أقبل على تحرير

المقالات والفصول النقدية ، ليكون محررا بارعا وكاتبا بليغا له تأثيره على الرأى العام ، كما بدأ بقراءة أحدث الكتب المترجمة من مختلف اللغات فوجد فيها لذة أخرى لم يحس بها من قبل (1) .

وتمضى الايام وتظهر باكورة مقالاته بجريدة « الاهرام » فى سنتها الاولى فيتطلع الناس الى كاتب مقال « فلسفة التربية » و « فلسفة الصناعة » و « الدعوة الى العلوم العصرية » و « العلوم الكلامية » و « القلم » و « المدير الانسانى والمدير العقلى الروحانى » و ... الخ ...

والملاحظ أن « محمد عبده » قد كان فى جميع هذه المقالات يدعو الى الحيطة من تدخل الاجانب فى مشاكل الامة الداخلية ، حاثا على الاعتناء بالشباب ، داعيا الى طرح انظمة التعليم العتيقة ويفرد المرحوم : « رشيد رضا » فقرة فى كتابه : « تاريخ الاستاذ الامام » ج 2 ص 48 للحديث عن هذه المقالات الدسمة الممتعة فيقول : « ... هذا آخر ما رأينا للاستاذ الامام من المقالات فى السنة الاولى من جريدة الاهرام ، وكان لا يزال مجاورا فى الازهر لم يصر مدرسا رسميا ، وهى تدل على أنه أوتى من كمال العقل ، وسداد الرأى فى بدايته ما لا يزال كبار علمائنا وعظماء رجالنا قاصرين عن ادراكه ولو عمل أهل هذه البلاد بارشاده منذ تصدى للاصلاح ونشر آراءه فى الصحف ، لكانت مصر الآن من أعظم الامم علما وحضارة ، واستقلالا ، وقوة ، ولكن استعداد الامة كان ناقصا ... » .

وتخرج الرائد : محمد عبده من الازهر عام 1877 م باحرازه على شهادة العالمية فتلقفته النظارة العلمية فى هذه الجامعة ليكون مدرسا بها ، ثم تلقفته أيضا كل من مدرسة « دار العلوم » ومدرسة « الالسن » ليكون استاذا للتاريخ بهما .

وتهيأ لتلاميذ مصر أن يستفيدوا من محاضرات ودروس هذا الاستاذ الجديد وخاصة ما كان منها يهم « فلسفة ابن خلدون » الى ان تولى : « الخديوى توفيق » حكم مصر فخشى من هذه الدعوة الجديدة التى يحمل لواءها : « جمال الدين الافغانى » فأصدر أمرا بنفيه من البلاد ، كما أصدر أمرا ثانيا بعزل محمد عبده عن : — دار العلوم — (2) .

(1) راجع كتاب « الشيخ محمد عبده » للاستاذ أحمد الشايب .
(2) راجع القديم والحديث : للاستاذ محمد كرد على .

ومرت الايام كالبرق الخاطف يتم فيها تعيين الامام عبده محررا بجريدة « الوقائع المصرية » ثم رئيسا لتحريرها ، ووجد محمد عبده مجالا فسيحا في هذه الخطة ، فكانت مقالاته الاخلاقية والاجتماعية والتوجيهية محل اعجاب الجميع ، وتلتهم التهاما من طرف مريديه ومن المثقفين بوجه عام ٠

وتمضي الايام ويتهم هذا العبقري بالمشاركة في ثورة : « عرابي » ويحكم عليه الانقليز بالسجن ، ثم بالنفي لمدة ثلاث سنوات بسوريا ٠٠ ويتقبل المصلح الشجاع هذا الحكم برباطة جأش وبجلد منقطع النظير ٠

ويعيش السجين محمد عبده في سجنه في عزلة تامة ، وكل أمانيه أن يرى نور الحرية في مصر حتى يبدأ الجهاد من جديد في بلاده أو في بلاد أخرى من بلاد العالم الاسلامي ، وقد بعث بهذه الامنية من سجنه الى أحد أصدقائه قائلا : « ان الحوادث المريعة سوف تنسى ، وان الشرق سوف يرد ٠٠ كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ، ولا أطلب شيئا فوق هذين سوى معونة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون » ٠

محمد عبده في باريس :

وأثناء فترة نفيه تلقى دعوة من استاذه وصديقه الثائر جمال الدين الافغاني ليلتحق به في باريس ولبى هذا الطلب ٠٠ ويظهر لي أنه تأثر بالحضارة الفرنسية وبالتقدم هناك ايما تأثر ومما يدلنا على هذا ــ انه ما ان مضى شهر على اقامته هناك حتى أصبح كالاروبي في مظهره وحلاقته وملابسه إنه استطال شعر رأسه ولحيته ، وقارب مظهره مظهر « أهل الفن من الاروبيين (1) » ٠

وفي باريس عاصمة الحرية والنور تكاتف جمال الدين الافغاني ومحمد عبده على اعادة مجد الاسلام وقوته او يستشهدا في سبيل ذلك وقد أكد الافغاني هذا الاتفاق في فقرة من مقال له نشر « بالعروة الوثقى » حيث قال : « ٠٠٠ تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة مالمسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنسوية هذه الايام والحمد لله على زوال المانع الا اننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذي قمنا به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه

(1) محمد عبده للاستاذ عثمان أمين ص 75 ٠

ونرجو من ديان السماوات والارض أن نموت في هذا السبيل وأن نبعث في زمرة السالكين فيها ... (1) » .

ثم في هذا البلد أيضا أنشأ الافغاني في عام 1884 م تلك الجمعية السياسية السرية : « جمعية العروة الوثقى » فانضم اليه الرائد محمد عبده كما انضم اليه غيره من مريدي حركة الاصلاح الديني والاجتماعي ، وقد كان لا بد لمن يريد الانخراط في سلك العاملين بها أن يقسم يمينا وضعه الثائر محمد عبده نقتطف منه ما يلي :

« ... أقسم بالله العالم بالكلي والجزئي والجلي والخفي : القائم على كل نفس بما كسبت الآخذ لكل جارحه بما اجترحت ، لاحكمن كتاب الله تعالى في أعمالي واخلاقي بلا تأويل ولا تضليل .. أقسم بالله مالك روحي ومالي ، القابض على ناصيتي ، المصرف لاحساسي ووجداني الناصر لمن نصره ، الخاذل لمن خذله ، لابذلن ما في وسعي لاحياء الاخوة الاسلامية ،ولأنزلنها منزلة الابوة والنبوة الصحيحين ، ولاعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى ، وأنتظم في عقد من عقودها ولأراعينها في غيرهم من المسلمين الا ان يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الاسلام فاني أبذل جهدي في ابطال عمله المضر بالدين ، وآخذ على نفسي في أثره مثل ما آخذ عليها في المدافعة عن شخصي الخ ... (2) .

ولم يكن اسم « العروة الوثقى » مقصورا على الجمعية وحدها فحسب ولكنه أيضا أطلق على « المجلة » التي أنشأتها هذه الجمعية ابتداء من 13 مارس 1884 م وهذه صورة ما كتب في فاتحة العدد الاول :

---

(1) « العروة الوثقى » : ط المكتبة الاهلية ببيروت ص 474 .

(2) راجع كامل النص في كتاب تاريخ الاستاذ الامام لرشيد رضا ، ج 1 ص 287 وما بعدها .

العدد الاول من : العروة الوثقى

لا انفصام لهـا

يوم الخميس فى 15 جمادى الاولى سنة 1301 هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ، هذا ما تمده العناية الالهية من قول الحق ، متعلقا بأحوال الشرق ، وعلى الله المتكل فى نجاح العمـل ، خفيت مذاهب الطامعين ازمانا ثم ظهرت ، بدأت على طرق ربمـا لا تنكـرها الانفس ثم التوت ، أوغل الاقوياء من الامم فى سيرهم بالضعفاء حتى تجاوزوا بيداء الفكر الخ ... (1) » .

ولا شك ان كل من رام معرفة منهج هذه الجريدة والغرض من انشائها يلمس بعد امعانه فى هذه الفقرة كل هذا واضحا جليا ويتلخص فيما يلي :

أ) تنبيه الضعفاء الى ما يريده الاقوياء بهم .

ب) شرح الاسباب التى أدت الى ضعف الضعفاء وقوة الاقوياء .

وقد استطاعت هذه الجريدة بفضل التأييد الذى وجدته من طرف الغيورين عن الاسلام ان تبلغ هذين الهدفين التاليين :

1 ــ تحقيق التهافت عليها ومحاولة تفهم أغراضها ومراميها وقد وجـدت رغبة من المسلمين وحرصهم للاستفادة منها ومما يدلنا على هذا قـول الامير شكيب ارسلان : « 1870 ــ 1946 » مادحا السيد جمال الدين الافغانى الذى كان يوحى بالفكرة :

ومعـــان لـــو اوحيـت لجمـــاد   هـزه الشـوق نحـوها والغـرام
حيـرت كـل ذى حصـــاة الى أن   قيـــل لا شـــك انهـــا الهـــام

كما نوه بفضل محمد عبده الذى كان يبرز أفكار استاذه وآراءه فى ذلك الاطار العربى السليم :

---

(1) العروة الوثقى : العدد الاول 13 مارس 1884 .

كـلام اذا ألقيتـه فـى جمـاعـة   غدا منك مثل اللؤلؤ الرطب ينشق
عليـه من النـور الالهى مسحـة   تكـاد علـى أرجـائه تتـألـق

2 ـ الفزع الذى أصاب الغرب وخاصة ساسة بريطانيا الذين وقفوا ضد رواجها فى الممالك الاسلامية كالهند ومصر والسودان والعراق والكويت .

وعلى الرغم من كل التضييقات التى فرضت على هـذه « المجلـة » فقـد استطاع ثائرا الشرق : « الافغانى وعبده » من ان يصدعا بآرائهمـا ويبلغـا صوتهما الى كافة المسلمين فى جميع انحاء العالم قصـد تحقيـق الاغـراض التـالية :

1) بث فكرة الرابطة الشرقية .

2) الوصول الى حل القضية المصرية ومحاولة ابعاد مطامع الاجانب فيهـا بعد جلاء الانجليز .

3) تمهيد الطريق الى بعث جامعة اسلامية .

4) النظر فى المسألة السودانية والقيام بعمل يعود على المسلمين بالخير : (راجع مقالا للاستاذ عثمان أمين العدد 84 ـ مجلة الثقافة المصرية) .

فهذه جمعية « العروة الوثقى » وغاياتها ، وهذه مجلتها وأغراضها ، وقد ظل الافغانى وعبده يعملان فى صمت وعلى صفحات مجلتهما دفاعا عن الاسلام وعن مقومات الامة العربية واستمر نشاطهما الى أن تعطلت « العروة الوثقى » يوم 1884/10/16 بعد صدور العدد الثامن عشر منها (1) .

وعلى العموم فاقل ما يمكن أن نستنتجه من جهاد الاستاذ الامام عبده فى جمعية « العروة الوثقى » هو أنه كان زعيما دينيا ، ومصلحا اجتماعيا كبيرا ، وسياسيا قديرا ماهرا ، ووطنيا مخلصا ، فلو راجعنا مجموع مقالاته فى هذه المجلة فاننا نجد كامل آرائه وأفكاره وآماله ، فهو أول من نادى بالجـلاء عن مصر والسودان ، وأول من وجه الافكار بطريقة عملية الى محاولة التخلص من البريطانيين ومن مخلفاتهم (2) .

---

(1) تاريخ الاستاذ الامام، الجزء الاول للمرحوم رشيد رضا ص 280 .
(2) راجع تاريخ مصر الحديث للاستاذ عباس الخردالى .

جهاده السياسي :

لقد عاش الاستاذ محمد عبده كامل أحداث عصره وشاهد المظالم التي كانت تنهال على المصلحين والوطنيين الشرفاء - ورأى بعينيه سياسة المكر والخداع التي تتبعها بريطانيا في مستعمراتها وخاصة في بلدان المشرق العربي ، فحركت هذه الدوافع في نفسه لهيب الثورة فأعلنها شعواء على الرجعيين والسياسيين المحترفين ، وعلى الاستعمار وعملائه ، فكان يبدي رأيه بكل شجاعة متحديا الصعاب ومجابها الخصوم والاعداء .. انه بين رأيه في كثير من مشكلات عصره ، فناصر النظام النيابي في البداية ثم بعد أن اتضح له جهل الشعب ومساوى الحكومات والفوضى العقلية اثر انتصاب بريطانيا بمصر فكر في وضع أول لبنة للاصلاح فدعا الى « حماية الاخلاق » ، والى الاخذ بالتربية القومية ، قصد اعداد جيل قادر بامكانه أن يحمل مشعل النضال ويقود الامة نحو الكرامة والمجد والعلا والسؤدد (1) .

ولكن بعث شباب كهذا ليس بالامر الهين ولن يتأتى الا على يد حاكم قوي نزيه عادل ، فنادى بتطهير المجتمع من النفوس الضعيفة ومن محترفي السياسة والانتهازيين والمتخاذلين ... انه اخذ يحث على اقصاء هؤلاء عن مناصب الحكم لكي يتبوأ المسؤولية ذو الارادة القوية ، والتصميم الحازم والضمير اليقظ الحي .

وظل يواصل جهوده من أجل علاج العلل فأصلح المحاكم الشرعية وأدخل نظاما تربويا هادفا في الازهر وغيره ، واعتنى بالجمعيات الخيرية ودعا الى مراقبة المدارس والى تدعيم الصحافة الوطنية التي تعبر عن احتياجات الجماهير .

وامام تدهور الحالة السياسية في مصر خاصة وعموم بلدان المشرق العربي عامة كتب « محمد عبده » مقالا تاريخيا خالدا أعلن فيه - بصراحته المعهودة - الى وجوب الغاء المجالس النيابية لانها ضرب من ضروب « الفولكلور » فأي منفعة تسديها للشعوب ما دامت الامة ممزقة الاوصال ، مشتتة الاهواء ، وما دامت أحزابها السياسية خاضعة في تصرفاتها لمآربها الشخصية ، وما دام نوابها في (البرلمان) تعوزهم الكفاءة والاخلاص وليس لهم أي تأثير على المجتمع .

---

(1) راجع الشرق الاسلامي في العصر الحديث : للمؤرخ حسين مؤنس .

وكان محمد عبده يرى أن أساس كل عمل يراد له النجاح لا بد أن يكون مبنيا على التعاون والمشورة والوفاق ٠٠٠ ولذلك رأيناه يدعـو الى أن تكون « التربية الجديدة » مبنية على الايثار والاتحاد ومحبة الغير : « العلم الحقيقى هو الذى يعلم الانسان من هو ومن معه فيتكون من ذلك شعور واحد ، ورابطة واحدة ، هى ما يسمونه بالاتحاد » ٠

وكان محمد عبده يؤمن بتسليح الاسرة بتربية اجتماعية اخلاقية ، لذلك رأيناه يتحسر على ما حل بمصر من ويلات وهزات وتفكك اجتماعى فذكر أن ثلاثة أرباع القضايا فى مصر فى عهده ، كانت ناشئة بين الاقارب فشاهدناه يكتب فى عام 1884 م فيتساءل عن مصير مجتمعه الذى تحف به الاخطار من كل الجوانب فيقول : « ٠٠ فهل من المعقول ان يكـون الفسـاد فى العـلائق الطبيعية الى هذا الحد من التصرم ، ونتساءل عن تصرم العلائق الوطنية ؟ هل يمكننا بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العائلات أن نبحث عن الروابط الخارجية للجامعة الكبرى (١) ؟ ٠٠٠ »

محمد عبده الكاتب المفكر :

يعد محمد عبده من مشاهير كتاب هذا القرن وتتميز كتاباته غالبا بنزعة الاصلاح الدينى ، فقد جاهد طويلا لنشر هذه الدعوة وتطهير الدين مما ألحق به من أباطيل وضلالات وتنحصر دعوته فى هذا الشأن :

أ) تحرير الفكر من قيود التقليد ٠

ب) فهم الدين على أصول ومعطيات جديدة والرجوع الى المنابع الاولى قبل ظهور الخلاف ٠

ج) اعتبار الدين صديقا للعلم لا عدوا له ٠

ولتحقيق هذه الاهداف الثلاثة سعى الرائد محمد عبـده لتعميـق هـذه المفاهيم الجديدة ونشر حركة الاصلاح سواء فى البلاد التى أثر فيها بشخصه كسوريا ، ومصر ، وتونس ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والجزائر أو فى البلاد الاخرى التى كان له فيها مريدون وأنصار كالهند ، وسنغفورة ، واليابان ، وجاوة ، وأندونيسيا ـ والصين وغيرها ٠

---

(١) جريدة « الجهاد » المصرية ٠

فمن هذا الاختيار التلقائي الهادف كانت مقالاته في « الاهرام » و « الوقائع المصرية » و « العروة الوثقى » ثم جاءت دراساته القيمة ومؤلفاته الدسمة تثبت منزعه الفكري جليا واضحا مثل : « رسالة الواردات » و « الاسلام والتجديد » و « حاشية عقائد الجلال الدواني » و « رسالة التوحيد » و « شرح نهج البلاغة » و « شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني » و « شرح البصائر النصرانية » و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » الخ ...

ومحمد عبده بابرازه لهذه الاثار يكون قد سجل مواقف مشرفة تدل على شجاعته وغيرته على قضايا العروبة والاسلام ، كما ان طريقة صياغة هذه الدراسات كانت عبارة عن أسلوب منهجي جديد في البحث يجمع بين الاصالة والاستقلال بالرأي ، فهو في استدلالاته وآرائه وافكاره يسلك الطريق الفلسفي الافلاطوني القديم الذي جدده - ديكارت - وأعاد بناءه « كانت » ونحن في كل ما نقرأ له من فصول ودراسات نلمس فيها آفاقا جديدة لفهم غوامض الاشياء وكنهها وهي في مجموعها تقحمنا وتحثنا على النظر الى الانسان بعين الروح واخضاعه لشريعة العقل مع الحرص على الاعتدال .

ان محمد عبده : الذي تحدث عنه احد المستشرقين الامريكيين قائلا : « ... كان فلاحا صميما ، وليد تربة مصر العريقة قبل ان يغدو مفتيا واماما للمسلمين ، واننا لنلمح في اخلاصه لهذه التربة وفي دعوته الى الوطنية ، مزاجا عجيبا من الوفاء للماضي المجيد ، والاستمساك بيقين الدين ، والولاء لوطنية الفلاح » استطاع بثقافته واخلاصه لمبادئه ، أن يرفع لواء القيم الروحية وان يؤدي رسالته على أفضل الوجوه ، وان يفتح آفاقا واسعة بعيدة في وجه شباب الجيل الحاضر حتى يتأمل في واقعه ويعمل من أجل بعث غد مشرق بسام يسوده الاخاء والعدالة ويطمئن اليه الجميع .

ر . ذ .

خبـــر

الوجه الثاني لتاريخ ابي حيان التوحيدي

بقلم : أحمد القديدي

روى القاضي أبو حامد أحمد بن بشير العامري قال :

« إن الذي يغلب على الظن أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وإنه من كلام أبي حيان التوحيدي لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه ... » .

قال النقيب : « آعلم فداك شيخك أن أبا حيان رجل ملحد زنديق يحب التلاعب بالدين ويخرج ما في نفسه فيعزوه الى قوم لم يقولوه .. » .

قال مصطفى جواد : « ان أبا حيان على علمه وافتتانه في الآداب والفنون لم يستطع التخلص من عادة الاختلاق والتوليد والوضع .. » .

جاء في كتاب لسان الميزان : « .. وأبو حيان التوحيدي صاحب التصانيف قيل اسمه علي بن محمد بن العباس ، نفاه الوزير المهلبي لسوء عقيدته وكان يتفلسف .. » .

قال ابن مالي في كتاب الفريدة : « .. كان أبو حيان كذابا قليل الدين والورع مجاهرا بالبهت تعرض لامور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل .. » .

جاء في كتاب لسان الميزان على لسان ابن حجر : « .. لم أزل أرى أبا حيان علي بن محمد التوحيدي معدودا في زمرة أهل الفضل موصوفا بالسداد في الجد والهزل ... » .

حدث القفطي قال : « .. كان أبو حيان شديد الانحراف عن علي بن أبي

طالب ، ولما دخل الى دمشق قعد في بعض أسواقه ينـاظر بعض من يتعصب لعـلى ٠٠ »

قال أبو سعيد السيرافي يخاطب أبا حيان : « ٠٠ تأبى إلا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس » ، فقال : « أدام الله الامتاع ٠٠ » ٠

●

أبو حيان التوحيدي بعث من المخطوطات المصفرة المسوسة المنخورة وحل فينـا حلـولا صوفيا ، لبسنا جبة واندمج فينا امتزج بهذا العصر امتزاجا كليا فأضحى منا وأمسينا نحن فيه فسبحان الله مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، سبحانه المتصرف في ملكوت الزمان والمكان هو الحق ٠

●

حكاية أبي حيـان مع السلطان ومـاجرى له مـن الاحـداث بعـد العصيـان

حدثنا أبو محمـد بن عبـد اللـه الـوراق قال :

« سمعت أبا حيان في سـوق دمشـق يقـول : « أيها الناس لا يحسبن أحدكم أن السلطان وريث الله في أرضه ولا المحكم في أعناق الـرعية فأنتـم احرار ٠٠ وقال الناس نستغفر الله خالقنا ونعـوذ به من كل أفاك أثيم » ٠

وقال أبو حيان لهم : « أيهـا النـاس اسمعـوا أخياركم ولا تطيعوا أشراركـم ، فانمـا السلطـان يقودكم بالسيف لأعناقكم وبالجلد لظهوركم ، ويحكم أغنياءكم في فقرائكم ٠٠ قال الناس إن أنت إلا كافر لئيـم ٠٠ » ٠

وواصل أبو حيان يقول ويقول ، حتى حبس وجلد وأحرقت مصنفاته وتآليفه على مشهد من الناس وهم يضحكون ٠

المصدر : معجم الادباء ج : 5

قال أبو حيان وهو يتألم لاحراق كتبه :

« إن عيـاني منهم في الحياة هو الذى يحقق ظنى بهم بعد الممات وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لى من أحـدهم وداد ولا ظهـر لى من انسان منهم حفاظ .. » .

●

أبو حيان من أصل قروى نزح الى العاصمة يعيش فى « برطمان » صغير باحدى عمارات الشوارع الكبيرة الخالية . يدفع 18 دينارا للايجار ويحاول التلاؤم مع العصر ، يشرب مرة فى الاسبوع زجاجة « فيوتيبار » مصحوبة بصحن عجة مرفوقة بابتسامات « جلول » الغرسون مختومة بقهوة « ألونجى » فى تراس قهوة باريس . وأبو حيان يقرأ جريدة « لوموند » أنباء السودان والمغرب والاردن . يقول :

« العالم العربى يعيش فترة اندثار خطيرة » .

يقـول :

« أنا لا أوافق على القتل والتعذيب » .

يقـول :

« الاعدام ينفذ فى حرارة الصحراء وبرد الرأى العام » .

يقـول :

« من أنت وباسم أى مبدإ وتحت أى شعار وعلى حساب من حتى لا أرفـع صوتى فى وجهك حتى لا أقول كلمتى فى حضرتك . أنـا المغشوش . أنـا بايعتك يا سيدى مبايعة خالصة مخلصة وشددت أزرك لأنك من لحمى ودمى فكيف أنتهى إلى انسداد الآفاق وانغلاق حياتى فى زجاجة خمر وصحن عجة والصمت والصمت والصمت والصمت » .

●

ممنوع الكلام مع السايق ممنوع المشى على الحشيش ممنوع الوقوف ممنوع المرورممنوع التلصيق ممنوع البول ممنوع النزول من هنا ممنوع الصعود من هناك ممنوع الجلوس ممنوع الدخـول إلا بعد استئذان الحـاجب ممنوع التدخين ممنوع قطع السكة ممنوع إطالة الشعر .

●

ممنوع ممنوع وكلامك يا أبا حيان موضوع مصنـوع ولسانـك مقطـوع وصوتك غير مسموع وقدرك غير مرفوع قال : « أنا الفـوضى الـدائمة أنا الرافض المرفوض أنا ابن الارض فى ما فيها من عذاب وخصب وصبر ونار تتآكل وتهديد بالزلزال وإنذار بالبراكين ووعد بالعقم أنا التاريخ » .

●

عام الجربوع كما رواه الأديب الأريب أميـر السجع سيدى محمد أبو النخبة القـادرى فى كتاب نبذة الاخبار فى مسامرة الاخيار .

جفت السماء وعم البـلاء وتفـاقم الخطب وجـل الكرب فحل الجوع على الجموع وتكاثر الجربوع وهو حيوان أكبر من الفـأر الأزرق وأصغـر من الأرنب كريه الرائحة يجوب البلاد ويفجع العباد ويحـدث الفساد يأكل ما خـزن الأهـالى من المـؤونة ويفشى مرضا يسمى الوباء أعوذ بالله رب الفلق من شر ما خلـق .

●

كتب أبو حيان رسالة لصديق له قال فيها : « تتبعت بكثيـر من القلـق والضحك فشل الثورات فى العالم وانتصار جرثومة « ألتور » الكوليرية فى اسبانيا » . ولاحظ عند تجواله فى الشوارع أن عددا من الجـدران البيضاء أكتست بمساحات ملونة ورسوم متباينة عن أنواع المشروبات والمـأكولات والملبوسات والغسالات والمساحات والمقروءات فأحس بانسحاق .

●

مرت أمام أبى حيان عجوز تتسول وطفلها معلـق فى صـدرها ، سألتـه قائلة : « خبيزة لهذا اليتيم لا يخليلك دار بجاه العزيز الستار .. » .

فدس يده فى جيبه وأخرج ورقة وقلما وكتب : « لا يخليلـك دار بجـاه العزيز الستار » ووضع الورقة فى ظرف كتب عليه : « قـاموس العـادات والتقاليد التونسية .. باب الدعاء بالخير ، فصل التسول .. » .

أ. ق.
سبتمبر 71

من احرق روما ؟!

شعر : نور الدين صمود

شَنِقَ العَدْلُ
وَهَوَتْ مقصلة الظلم على عُنقِ الحريهْ *
وَتربَّعَ فوق العرشِ
ملك نذلُ
يستعْبِد شعبا باسم العدل وباسم الحريه
مَنْ أحرقَ روما ؟ !
من حطّم فوق الارض نجوما ؟ !
من صيّر أمجادَ الامس رميما ؟ !
مَن حَوّل هذا الفردوس جحيما ؟ !
(نيرون ! ؟) ... مَعَاذَ الحقّ .. لقد أحرقها مَن ألّه نيرونا
أحرقها شعب ألّه مجنونا
فغَدَا رَبًّا فيهم يُحرقُهم باسم العدل وباسم الحريه ...
لما صُلِبَ العَدلُ
وهوت مقصلة الظلم على عنق الحريه

* * *

وتقول الاسطوره

بـل كُتُبُ التّـاريخ :

« لـمـا كـانـت رومـا تلتهِبُ

والنـار لهـا غَضَبُ

شُهُبٌ شُهُبٌ شهـبُ

فـي الجَـوّ لهـا قُضُبُ

ذَهَبٌ ذَهبٌ ذَهَـبُ

تطعـن قـلب الجَـوِّ وتنتهـبُ

سُحُبٌ سحبٌ سُحُـبُ

والشعب لـه صَخَـبُ

يلعن من أحـرقـه باسم العـدل وباسم الحـريـه

صُلِـبَ العـدْل

وهـوتْ مقصلة الظلم على عـنق الحـريـه

* * *

فيِ ذاك الوقـت الملعـونْ

كـان يـرى فيِ أعـلى شرفـات القصرِ

ربٌّ مجنـونْ

يُـدعـى نيـرونْ

ينـظـر كـالنسرِ

يعـزف قيثـارهْ

يُنشِـد أشعَـارهْ

يَنْظِم أعظم ألحـان الحـريـه

« مـا أعظـم هـذا الشعبَ الجبـارْ »

« لمـا خـاض غِمـَارَ النـار »
« ما أصدق هذا الصوتَ الصاعدَ منْ حنجرة الشعبْ »
« يُتْقـِنُ فيه فـن الثَّلْبْ »
« يتعلم فيه كيف يثـور على الـرّبْ »
« لم أُحْـرِقْ رومَـا ! »
« لكنّي أوقدتُ عـزائم هـذا الشعْـبْ »
« علمت أظـافره كيف تمزق جلد الاشرارْ »
« علمت سواعده كيف تُحَطِّمُ أصنام الحريه »
« لمـّا شنق العـدل »
« وهَوَتْ مقصلة الظالم على عنق الحـريـه . »

ن. ص.

---

* الخبب : يستعمل هكذا : (فاعلن) . أو (فعْلن) بتحريك العين أو تسكينهـا . واستعمل كثير من أصحاب الشعر الحر (فاعلُ) مع (فعْلن) بشرط أن لا تتحرك (عين) (فعْلن) الموالية (الفاعل) . وقدَ استعملت هذا الجواز في هذه القصيدة .

المرأة في شعر نزار قباني

بقلم : رمضان لاوند

لا سبيل الى فهم المرأة فى شعر نزار قبانى ما لم نبحث عن عبارة أو عبارات تتلخص فيها حقيقة هذه المرأة .

ولعل العودة الى حديثه الذى ألقاه فى قاعة ويست هول فى الجامعة الاميركية فى بيروت أمام طالبات الجامعة وبدعوة منهن أن تكون المدخل الطبيعى الى مثل هذا الفهم .

قال فى حديثه :

« مخطىء من يظن أن هزيمة حزيران كانت هزيمة عسكرية فقط . فحزيران كان هزيمة للجسد العربى أيضا .. »

ثم يردف قائلا :

« نريد أن نرد جسد الأنثى اليها . فهو حتى الآن ملك التاريخ والاعراف والمؤسسات الدينية والدنيوية تتصرف به على كيفها ، وتضع له قوانين سلوكه قبل أن يولد » .

ويمضى نزار قبانى فيوجه تهمته الكبيرة الى الرجل الشرقى الذى كما يقول نزار :

« يربط كل اخلاقياته بجسد المرأة لا بأخلاقياته هو . فهو يكذب ويسرق ، ويزور ويقتل ويسلح على الطريق العام ويبقى أطهر من ماء السماء حتى يعثر فى درج ابنته على مكتوب غرام فيشدها من ضفائرها ، ويذبحها كالدجاجة ويلقى قصيدة شعر أمام قاضى التحقيق » .

وهنا يطالب نزار المرأة بالثورة . ويصر على منحها حريتها . أما الثورة فهى

على كل التقاليد والعادات والأعراف التى وضعها التاريخ ، وأما الحرية فهى حرية أن تحب من تشاء كما تشاء .

ويستمر فى تعريف الحرية فيقول :

« حرية المرأة هى أن تسقط فى الماء بكل ملابسها لا ان تتنزه فى حـديقة الجامعة وهى تتأبط الكراريس المدرسية .. »

واذن فان نزار قبانى لا يجد فى مأساة فلسطين عام 1967 غير مأساة الجسد عند المرأة .

وهو يزعم أن الخروج من مأساة الكارثة التى وقعت فى 5 حزيران يـرتبط بتحرر المرأة جسديا .

أما المأساة العسكرية فهى كما يفهم من كلامه مأساة الجنـدى فى سـلاحه وتدريبه فاذا تحرر العسكرى من مشكلة السلاح والتدريب بقى عليه ان يتحرر من القيود الموضوعة على الجنس .

بمثل هذه البساطة الفجة طرح نزار قبانى مأساة العالم العربى كله ، ومن خلال المرأة التى طالبها بالسعى الى الرجـل والالحـاح عليه فى أن يستبيـح جسدها ، ويتمرغ فوق صدرها ، واجه مشكلة الحرية .

والأعجب من هذا كله ان نزار قبانى الذى واجه المأساة على الصورة التى اشرنا اليها ، لا يلبث أن يعلن فى ص : 13 – 14 – 15 – 16 – 17 من ديوانه « الرسم بالكلمات » وتحت هذا العنوان نفسه ، قرفه من معاناة الجنس فهو يتهم نفسه باللصوصية فيما حققه من غزوات فى جسد المرأة ، وينتهى الى تقرير أن أفضل عبادة يمارسها هى عبادة الذات .

ثم يفسر عبادة الذات بالالتماع الشعرى أو بالرسم بالكلمات .. واذن فالحرية الجنسية التى اعتبرها مطلبا أساسيا للمرأة لم تحقق له هو شخصيـا غير عقدة الشعور بالذنب أولا وغير السقوط فى عبادة الذات التى هى نظم الشعر ثانيا . وبذلك يكون قد هدم الهيكل الوثنى الذى بناه بدواوينه السابقة كلها « قالت لى السمراء ، طفولة نهد ، انت لى ، سامبا وغيرها » .

واذا لم تصدقنا المرأة التي تجد في نزار قباني محررا لها فلتقرأ معنا الابيات التالية من ديوانه : « الرسم بالكلمات » :

لـم يبق نهد ... أسود أو أبيض
الا زرعـت بـأرضـه رأيــاتـي

* * *

لـم تبـق زاوية بجسـم جميلـة
الا ومـرت فوقهـا عـربـاتي ...

* * *

فصلـت من جلـد النسـاء عبـاءة
وبنيـت أهـرامـا مـن الحلمـات

* * *

واليـوم أجلس فوق سطح سفينتي
كاللص ... أبحث عن طريق نجاة

* * *

ثم يتابع حديثه عن معاناة الاتصال بجسد المرأة على طريقة هارون الرشيد « كما يقول » فيختتم التجارب بقوله :

مـارسـت ألـف عبـادة وعبـادة
فـوجـدت أفضلهـا عبـادة ذاتـي

* * *

كـل الـدروب أمـامنـا مسـدودة
وخـلاصنا في الـرسم بالكلمـات

* * *

واذن فان نزارا الذي وضع قلمه وعقله وارادته تحت تصرف الثورة الجنسية التي هي حرية ممارسة الحب ، قد كشف عن حصيلة هذا الجهد فاذا بها كحصيلة المغامر الذي يبحث عن الثروة والمجد ، يجمع في كل مغامرة راية جديدة أو يضيف في كل غارة ثروة جديدة ثم لا يلبث بعد سنوات طويلة من

العمر حتى يكتشف بأن كل هذه الثروات والرايات غير ذات معنى ما لم تكن وسيلته الى عبادة ذاته واعلان انتصاراته الشخصية ٠

وبذلك يكون نزار قد سقط فيما يسقط فيه كل مغامر تأكل الرغبة فى الكسب أعصابه ٠٠٠ ولكن كسب نزار هنا ليس كسبا فكريا او عسكريا او سياسيا بل هو كسب لجسد المرأة كما لو أنه يريد أن يجعل من هذا الكسب وسيلة الى تأكيد ذاته واقناع نفسه بأنه جدير بالانتصار على المرأة ٠

فهل نجد فى مثل هذا الموقف النفسى شيئا يختلف عن أخلاق الرجال الذين صورهم فى محاضرته التى أشرنا اليها فى بداية هذه المقالة ؟ ؟ نستغفر الله ٠٠٠ هناك فارق واحد هو أن الرجال الذين حقد عليهم ، هم الذين يصرفون همتهم لتحقيق الانتصارات فى غير ميدان المرأة بينما هو شخصيا لم يجد لنفسه غير هم واحد هو تحقيق اكبر عدد من الانتصارات على جسد المرأة ٠ ثم يبلغ من قرفه من هذا الجسد أنه يكتشف فى النهاية بأن لذته الكبرى هى فى عبادة ذاته ٠٠٠ لكأن كل مغامراته النسائية ، اذا صح انه صادق فيما وصفه منها ، كانت من أجل أن يقنع نفسه ويقنع المرأة بأنه « الذكر النموذجى » ٠

وقد أعفانا علماء النفس من تفسير هذه الظاهرة حين أعلنوا أن المبالغة فى اتخاذ موقف فكرى أو أخلاقى معين هى عملية تعويض عن خيانة هذا الموقف أو الاحساس بالعجز والفراغ أمامه ٠

فنزار قبانى لا يحب المرأة كما يقول ، بل يحب نفسه ٠ وهو لم يعبد جسد المرأة لانه لم يفهم هذا الجسد ، بل يعبد ذاته ٠٠٠ وهو لم يقصد من كل مغامراته غير توكيد ذاته بطريقة مرضية فعل المصابين بالانحراف النفسى ، أى بطريقة تعرية النساء والارخاص من قدرهم بأن يحيلهن الى « لحم ودم » يصرخان كما تصرخ الشهوة البهيمية الحمراء ٠٠٠

غرور نزار أمام المرأة :

ويبدو أن نزارا المعجب بنفسه ، والمطارد بعقدة الشعور بالعجز أمام المرأة لم يكفه ما بنى فى خياله من أهرامات الحلمات وما فصله من جلود النساء لجسده المقرور بفعل الفراغ الروحى والاحساس بالضياع ، بل راح يعيد الكرة فى قصيدة أخرى يؤكد فيها للمرأة أنها لن تجد فيمن تتصل بغيره من الرجال رجلا مثله ٠

لأنه فى قلق مقيم ، وخوف دائم من أن يزايله الاحساس بسلطانه الجسدى على المرأة · قال تحت عنوان : « الا معى » :

ستذكرين دائما أصابعى
لو ألف عام عشت ·· يا عزيزتى
ستذكرين دائما أصابعى ···
فضاجعى من شئت أن تضاجعى ··
ومارسى الحب
على أرصفة الشوارع
نامى مع الحوذى واللوطى ··
والاسكاف والمزارع ···
نامى مع الملوك ، واللصوص ،
والنساك فى الصوامع ···
نامى مع النساء ـ لا فرق ـ
مع الريح ، مع الزوابع ··
فلن تكونى امرأة
الا معى ··
الا معى ··

وطبيعى أننا هنا لا ننتهز الفرصة لندل الى دعوة التبذل الصارخة التى تتفجر شظايا من هذه القصيدة ، ولن نحاول وضع الأصبع على مواطن السقوط البهيمى فى الصورة التى يرسمها لعشوقته وقد فارقته مذموما أو غير مذموم ، ولن نشير بالتالى الى ظاهرة الهبوط فى مفهوم التعبئة الاخلاقية عنده ، بل نقتصر على الاشارة الى شىء واحد هو هذا الالحاح الشديد من قبله فى اثبات رجولته مع المرأة ، وهو الحاح مغلف بطبيعة الغرور الذى يصنعه العجز الداخلى ، حين يجعل الشاعر من حركة أصابعه فوق جسد المرأة عنوانا على تميزه الرجولى ·

صورة أخرى للمرأة عند نزار :

ويمضى نزار بعد القصيدة السابقة وهو يحمل فى أعماقه شعورا مزمنا بالعجز أمام المرأة · فلا يكفيه ما قاله من قبل اعلانا صارخا عن شىء يريد من الناس أن يصدقوه ، بل يعود كرة أخرى الى نغمته فى القصيدة السابقة ، لأنه هو شخصيا لا يصدق ما يريد من الناس أن يصدقوه ·

وهو يعود الى هذه النغمة صارخا غاضبا ناقما مؤكدا ان الحقيقة لا تعجب المرأة فقد تقتلها هذه الحقيقة لو لم تعد وهما من أوهامه الجميلة ، وانها سوف تجد نهايتها فى الموت لو تحول الوهم الى يقين ·

ويشدد فى هذا الالحاح مطالبا حبيبته بالامتناع عن التفكير فيما وراء الوهم مكتفية به « حصانا يحرث على السرير الواسع ، أو مزارعا يزرع تحت جلدها

ألف طفل أو فتاة تسكب فى خليجها « رغوته وزوابعه » · انه يريدها مستسلمة لجسات أصابعه وحركاتها فوق جسدها وحسب » ·

ولنتصور معا هذه اللوحة ··· ما عساها تكون ؟ هل هى أكثر من عاصفة الجنس فى اختلاجاته على صورة امرأة من لحم ودم ؟··

قال نزار تحت عنوان « التفكير بالأصابع » :

ماذا يهمك من أكون ؟
حجـر ···
كتـاب ···
غيمـة ··
ماذا يهمك من أكون ؟
خليك فى وهمى الجميل ··
فسوف يقتلك اليقين
ماذا يهمك من أنا ؟
ما دمت أحرث كالحصان
على السرير الواسع ··
ما دمت أزرع تحت جلدك
ألف طفل رائع ··
ما دمت أسكب فى خليجك
رغوتى وزوابعى ··
ما شأن أفكارى ؟
دعيها جانبا ···
انى افكر عادة بأصابعى ···

لا شك ان القارئة، اية قارئة، تشاركنا الرأى فى أننا لم نتزيد على الرجل ولم نفتر عليه ، بل قلنا ما قاله عن نفسه · وكانت مهمتنا الكشف عن الاغطية التى ألقاها على المرأة ليصنعها على عينه حيوانا جميلا وحسب · مع فارق واحد هو أن الحيوان الجميل من الطيور شىء من أشياء صاحبه التى يتمتع بها فى حدود متعة البصر أو السمع · أما الحيوان الجميل الذى هو المرأة فهو شىء من الاشياء التى يحيطها صاحبها باطار الجنس فى مستواه الترابى تماما كما كان شأنه قبل ان يعرف مكاسب الحضارة وأشياءها المعنوية التى ترضى حاجة المرأة الى الاحترام والحب الطيب من وراء الجنس والصرخات المعولة فى الجسد ·

مع المرأة فى ديوان « يوميات امرأة لا مبالية » :

قد تظن المرأة ان نزارا بعد النكسة لم يعد يراها كما كان يراها قبيل النكسة فى ديوانه « الرسم بالكلمات » لكن الواقع أنه رغم ضغوط الكارثة ، ورغم محاولاته البارعة للخروج من دوامة الجنس التى بلغت القمة فى عنفها وحشرجتها فى ديوان « الرسم بالكلمات » قد عادت اليه خيالاته القديمة ، وامتد فيه احساسه بالعجز أمام المرأة ، ونمت فى أعماقه الرغبة الشديدة فى

تعريتها والانتقام من أنوثتها حين أقدم على نشر ديوانه الصفير « يوميات امرأة لا مبالية » ٠

لقد ظهرت فى هذا الديوان حقيقته رغم الجهود الاعلامية المضللة التى رافقت ظهوره ٠

فالمرأة هنا كالمرأة من قبل : انها تلك الأنثى التى لا تزال تعيش تحت ضغط « الوحش » الذى هو الرجل فهى مصرة على التعرى نائمة متمددة على السرير أو مستيقظة ، لكأنها لا تحس غير حرارة الجنس ولا ترى غير أوهامه ٠ وتبلغ بها الثورة حدا يتجاوز كل حد سابق حين تتلوى على فراشها هاربة « من أفـاعى الجنس » وتصرخ ملء حنجرتها « أنا امرأة ٠٠ أنا امرأة ٠ أنا انسانية حية » ٠

ثم ننسى هذه المرأة العارية ، وهى التى ولدت عواطفها وافكارها بعد كارثة 5 حزيران أو أراد لها الشاعر أن تظهر على صورة الوليد الجديد فى تلك الفترة بالذات أنها تنسى معنى الكارثة فتصخب وتدور حول نفسها وتصب نقمتها على دنيا الناس،مبتدئة بأبيها،لا ترى غير نهدها المتكوم فوق أغطيتها وغير جسدها الصارخ معبرا عن مشاعره بلهجته البدائية ثم تلخص كل هذه المعانى معلنة ان الأنثى فيها هى التى ترمز الى كل من الجسد والنهد والجنس والحياة ٠٠٠

واذن فان ما كتبه نزار فى « الاستجواب والمحتلون وعلى هـامش دفتـر النكسة » لم يحدث أى تغير حقيقى فى فلسفته حول المرأة ٠ وبدت غضبته فى قصائد الغضب ، كما سماها ، صرخة ممثل فوق خشبة المسرح وحسب ، انه لم يتغير فيه شىء أبدا ٠

الحرية فى هذا الديوان هى حرية الجنس ٠

والثورة فى هذا الديوان هى ثورة على الرجل كجنس ٠

ودنيا الناس فى هذا الديوان بعد 5 حزيران هى دنيا الناس قبل 5 حزيران ٠

أيطعمنى أبى خبزا ؟
أيغمرنى بنعمته ؟
كفرت أنا ٠٠٠ بمال أبى
بلؤلؤه ٠٠٠ بفضته
أبى ٠٠ لم ينتبه يوما
الى جسدى ٠٠٠ وثورته
أبى رجل أنانى

مريض فى محبته
مريض فى تعصبه
مريض فى تعنته
يثور ٠ اذا رأى صدرى
تمادى فى استدارته
يثور اذا رأى رجلا
يقرب من حديقته ٠٠

وفى المقطوعة التالية تتابع الفتاة فتقول :

على كراستى الزرقاء ... استلقى بحرية
وأبسط فوقها ساقى فى فرح وعفوية
أمشط فوقها شعرى ...
وأرمى كل أثوابى الحريرية
أنام . أفيق عارية ...
أسير .. أسير حافية
على صفحات أوراقى السماوية ..
على كراستى الزرقاء ...
استرخى على كيفى ..
وأهرب من أفاعى الجنس
والارهاب ..
والخوف ...
وأصرخ ملء حنجرتى

أنا امرأة ... أنا امرأة ...
أنا انسانة حية ..
أيا مدن التوابيت الرخامية
على كراستى الزرقاء
تسقط كل أقنعتى الحضارية
ولا يبقى سوى نهدى
تكوم فوق أغطيتى
كشمس استوائية ..
ولا يبقى سوى جسدى
يعبر عن مشاعره ...
بلهجته البدائية ..
ولا يبقى .. ولا يبقى
سوى الأنثى الحقيقية

ولو شئنا أن ننتشر على قصائد هذا الديوان الأخير كله لما وجدنا غير هذه المعانى ... معانى الجنس الثائر فى المرأة التى لا يشغلها من دنياها غير الفراش يضمها الى رجل وحشى برع نزار فى تشبيهه بالحصان الهادر فوق أنثاه .

ان كل قصيدة من قصائد ديوان « يوميات امرأة لا مبالية » هى صرخة من صرخات الكوابيس الجنسية تحشرج تحت ضغطها روح نزار واحساساته العنيفة بالعجز ورغبته فى تعرية المرأة بحيث تعيش على طريقة جداتها الرومانيات فى مرحلة السقوط الرومانى أو تعيش على طريقة المراهقين من أبناء الغرب وبناته الراكضين وراء معنى ضائع والباحثين عن أنفسهم وهم الذين حدثنا عنهم جان بول سارتر فى قصته « فى دروب الحرية » او كانوا فى مسرحية « كاليجولا » الوحش الباحث عن المتعة بعد ان سحقه الملل وافترسه الضياع فاذا به يتحول الى سفاك على أمل أن يجد فى ضحاياه من النساء والرجال ما يهدىء ثورته ويعيد اليه هدوء نفسه .

نهاية نزار :

والنهاية هنا نعنى بها نهاية الانسان الذى اختار طريق الضائعين حتى اذا أبعد فى المسير أحس بالعزلة تغتاله من كل مكان وبالغربة تفترس غروره

وكبرياءه فهو يجعل من نفسه جلادا للمرأة تحت ستار الدعوة الى تحريرها ، ويجعل من تغذيته لصراخ الجنس صخبا يخفى به عجزه أمام المرأة ٠

وقد قصدنا الى اختيار مقطوعات من أحدث دواوينه « الرسم بالكلمات » و « يوميات امرأة لا مبالية » لتكون بمثابة الدلالة على آخر صرخة من صرخاته البائسة » ٠

وقد بدا لنا انسانا يعبد ذاته ويعيش لذاته فاختار « مادة المرأة » موضوعا لطغيانه المريض لأنها المادة الوحيدة التى يستطيع بها الطاغية ان يستغل المحتوى الغوغائى لكل المراهقين والمراهقات ٠

ولا غرابة فى ان يبقى نزار لصيق هذه الغوغائية المراهقة لأنها هى وحدها التى تكشف عن نرجسية صاحبها وتعلن عن موت الحركية عنده ٠

بدأ حياته الفنية وقد استقطبت « المرأة الجنس » اهتمامه كله لا المرأة الانسانة ٠ واذا كانت هذه الصرخات الجنسية الهستيرية لم تبرز فى دواوينه الأولى فلأنه كان يتمتع بنصيب من الحيوية وفتوة الشباب ٠

ان شعر الحرير والخمر والخضرة والشفوف فى الثياب والبشرة الوردية وغيرها كان يمكن ان يرتفع من بعد الى فن يجد فى المرأة نبالة الحب ورومانتيكية الانفعال ، وشغوف الروح ، لكنه لم يحقق هذه القفزة لأن صاحبه قد فارقته حيويته الأولى ، فسقط بسقوطها قناع العجز وانكشفت اوهام الغرور ٠

لقد رفض نزار ان يعيش مع عمره مرحلة مرحلة وأصر على البقاء فى مستوى المراهقة فأصابه ما يصيب كل رجل متخلف عن دورات العمر ٠ وبدلا من أن يتحقق له ما يتحقق لكل فنان تنضج فيه روحه على حساب الجنس البدائى الصارخ ، تضاعف رعبه من الفراغ الذى سحق روحه المغرورة وأصر على التصابى البشع فى ديوانيه « الرسم بالكلمات » و « يوميات امرأة لا مبالية » ٠

أما قصائد الغضب التى صدرها بعد 5 حزيران فهى أشبه بالأصباغ التى تتساقط أمام أول قطرة من الماء ٠

هذا هو السر فى أن أنصار نزار ومؤيدى طريقته فى مواجهة موضوع المرأة

هم من المراهقين والمراهقات الطبيعيين أو الذين بلغوا أرذل العمر • فالمراهقة كما نعلم هي عمر نفسي لا عمر زمني وحسب •

يبقى ان نقول ان صغار المراهقين والمراهقات الذين يقبلون على شعره المتأخر ما كانوا يفعلون ذلك لولا أنهم يشاركونه الاحساس بالضياع والغربة عن الوعي بالمرأة كقضية انسانية يأتي الجنس معنى من معانيها لا معناها الوحيد •

وبعودتنا الى أول هذه المقالة ندرك ان ثورية المرأة وحريتها عند نزار هي ثورية وحرية يفرضهما سقوط الانسان الذى خلع قشرته الحضارية كما جاء في شعر نزار نفسه ولا تفرضهما رغبة في الانتصار على الغريزة العمياء •

لقد كنا نتمنى أن تبقى المرأة عند نزار صورة قريبة من تلك التى نجدها فى دواوينه الأولى • وكل ما تحتاج اليه هذه الصورة القديمة لتصبح شعرا نبيلا جميلا على مستوى الأنثى الانسانة هو عدد قليل من اللمسات لكن المؤسف أن موجة الرعب التى اجتاحت نفس نزار فى السنوات الأخيرة قد جعلت من هذه الصورة مرأة لكوابيس مريضة تحول بها شعره من فن تصوير الجميل الى فن تصوير العجوز التافه • وهي نهاية طبيعية للبداية التى لا يمتزج بها حب كريم وحرمة لأنوثة المرأة الانسانة •

وخلاصة القول ان شعر نزار بدأ غزلا مادته الحرير والنسيم والألوان الوردية والنور الأخضر فى أقبية المضاجع ثم انتهى فى السنوات الأخيرة فجأة نداء للجنس على طريقة مجلات الجنس العارية ، عنوانا على افلاس الفتوة الساذجة البريئة وتحولها الى شيخوخة •

ر• ل•

السهم الذي يغني

شعر : فضيلة الشابي

جوعى أصابع تمتد ، تمتد عبر أبعادى
تمتد الى حدود الدنيا ..
أصابع تلون الاشياء بألف لون
بعلية الزحف
تفتض مكامن الانفجار ..

جوعى فى عصور المجاعه
يرفض خبز الانتحار
لا يخشى فى لجج الهزيمة الانهيار
جوعى من مساحات فقرى
من المدن الموبوءه
فوق كهوف الصمت
سينطلق سهما يغنى
يقتل الآمال المريضة فى أعين الاجيال

جوعى مجرم يعيش فى الادغال
فوق الجبال
لكنـــه
فى فلسطين فى فيتنام
يصلى أمام جثث الاطفال
يذوب ابتهال

جوعى فى السماء
سيلقح أغنيات الشعوب
يغسلها فى الدماء

يعلمها الرقص فوق الخناجر
سيغسل أغنيات الشعوب
فى بسمة كل ثائر

جوعى أصابع تمتد
الى تخوم اليقظة الكبرى
حيث تضمحل المقابر

ف. ش.
70/8/18

مذكرات معلم أجيال :

الاستعمار والتعليم الحر على عهده

بقلم : محمد الهادى العامرى

تحدثنا عن الاعمال التى قام بها السيد الدالى يحى بالمدرسة العرفانية للجمعية الخيرية وكيف انتهت الى استبداده بتحرير جداول التعليم للمدرسة لعجز المدير السيد حمدة البكوش فى تلكم العهود 1927 ولنزعة استعمارية بثها المستعمرون فى صدره وصدر امثاله من متفقدى المدارس فى العهد البائد الحالك فكانوا يتطوعون لخدمة اهداف المستعمر ويحققون رغبته ولا يتورعون عن **التنقيص من الحصص الدينية والحصص المخصصة للعربية لتحل الفرنسية محل تلكم الحصص** . ونسج على منوال الدالى يحى المتفقدون فيما بعد ماعدا الرجل الثبت والجندى المناضل المرحوم السيد الصادق التلاتلى الآتي الحديث عنه ولا غرو فطلاب الحياة ضروب وطوائف فضرب يرى افراده الحياة فى التمسك بذيول الاقوياء فيسبحون فى فلكهم ويلتفون بهم يدلونهم وينفذون خططهم مهما كلفهم الامر من خنوع وذل ما داموا يرون الحياة فى ذلك . وطائفة حال العجز والقصور دون وصول افرادها الى ما وصل اليه اولئك المحظوظون فانكمشت حول نفسها ورضيت بالقليل من العيش وباتت تحرق الارم وتتالم تظن بالله غير الحق ظن الجاهلية يقول افرادها لو كان لنا من الامر شىء ما وقفناها هنا ؟ وطائفة ثالثة لا تعد فى نظر المستعمر ونظر غيره فى العير ولا فى النفير وهى التى تعمل فى صمت وتستبسل فى سبيل المحافظة على الدين واللغة (وهى فى كل أمة سر بقاء الذاتية) والحياة وان درت على الطائفة الاولى بما اشبع نهمتها وجشعها وشحت على الثالثة فلم يكن ذلك ليؤثر فى قلوب مؤمنة برسالتها وما عسى ان تبلغ المادة من النفوس المؤمنة ؟ وما هى الا عرض يمكن الحصول عليه متى اعدت له الاسباب المشروعة . ومن الغريب ان المدارس القرآنية الحرة نفسها ادركها ما ادرك غيرها فضربت صفحا عن هدف التاسيس وتناست الغاية التى اسست لاجلها واستنت فى مضمار نشر لغة المستعمر وبزت مدارسه من سنة 1930 الى بزوغ شمس الاستقلال بهذه الديار .

وبذلك زعزع تيار الاستعمار القاسى العزائم الحرة وذبذبها ووجهها الى التسابق والتنافس فيما يحاول ويريد فضلت السبيل وفسر الناس آنذاك

ضلالها بالاستقامة واللباقة والكياسة والتضحية والاخلاص ووسموا المدارس المتخلفة فى نشر اللسان الفرنسى بالتاخر والانحطاط والاهمال وطالما احدث بعض المتفقدين مشاكل لها محاولين غلقها وابعاد مديريها • وانقلب المشروع الحر من حرية الى اضطهاد واستعباد وتناسى الناس الفكرة الاصيلة من التأسيس وكأن الشاعر العربى عناهم بقوله :

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة
فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

وازداد تنمر المستعمرين فى ذلك العهد واخذ مدير التعليم الفرنسى بادارة المعارف يهىء خطة ابتلاع هذه المدارس فاعلن (قو) مدير الادارة آنذاك عزمه على سن قانون اساسى للمدارس القرآنية الحرة 1937 وما كاد يعلن بذلك حتى اشرابت لمشروعه اعناق معلمى المدارس القرآنية الحرة وتطلعت اليه رؤوس الكثير من المديرين ولا ادرى هل كانوا يعلمون كما يعلم كل تونسى بصير مفكر ان كل اصلاح او نظام تسنه او تجربه الادارة الاستعمارية بتونس او بغيرها فانه لا يعدو ان يكون لصالحها لانها تريد من ورائه خدمة اغراضها السياسية فى الميدان الذى تعلن عن اصلاحه ام القوم يتجاهلون ؟ ام يؤثرون المادة على الروح وهم واهمون ؟ لا ادرى ؟ ولكن التهافت وحده ••• يعرب عن ذلك ؟ لا سيما وكل اصلاح صدر عن المستعمر فى تلكم العهود كان يحمل بين طياته وتضاعيفه السم الزعاف والهدم والتحطيم تحت عنوان خلاب ••• شنشنة استعمارية معتادة ومعادة لا يجهلها الا الابله او المافون ••• او الذى لم يكتب له ان يعيش ببلد ليس للمستعمرين عليه سلطان وقديما قيل :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

ابرز المسيو قو الفرنسى مدير ادارة تعليمنا عزمه فعلا بتونس فاستدعى هيئة لوضع القانون الاساسى للمدارس القرآنية الحرة فى فيفرى 1937 •

كان من بينها نواب المجلس الكبير ونواب المدارس ومتفقدى ادارته : وحضرت هذا المجلس مع السيد بوعثمان القيطونى نائبين عن المديرين وحضره السيد مصطفى زبيس نائبا عن المعلمين وحضره الغيور الصادق الاستاذ الصادق التلاتلي وافتتح المسيو قو الجلسة بخطاب باللسان الفرنسى موضحا موضوع

الاجتماع واجابه الماسوف عليه السيد الصادق التلاتلي اجابةالقمتهحجراوجعلته يتقدم الى ابتلاع هذه المدارس فى تثبث وحذر بل وقفت به عند حد الاعتدال بعد المجازفة والجشع واصبح منذ الجلسة الاولى اثر جواب التلاتلي شديد الحذر معتدل الخطى بعد ان كان طموحا جشعا متهافتا مندفعا مصمما على ابتلاع هذه المشاريع في سهولة ويسر وقد اعتاد المستعمرون ذلك اذا حاولوا الوصول الى اهدافهم فيشركون من يهمهم الامر مجاملة ؟ ويمعنون فى سن ما يدعم خططهم ويوطد سلطانهم ٠ والمعنون بالامر يجاملون ويدهنون لينالوا المكانة فى قلوب المستعمرين وهم واهمون ؟ ومخطئون وجاهلون ؟ وانما يدينون بالمثل القائل ـ ومن بعد راسى الطوفان ـ واذا كان غمط الحقائق او محاولة كسفها يعد من اكبر الجرائم بل ضلالة ومغلطة لا تقل عن التلاعب بها وقديما حذر الشارع الحكيم الهادى صلوات الله عليه امته من التورط فى ذلك بابلغ تحذير وكان متكئا فى مجلس وعظه وهدايته يستعرض التنفير من الجرائم الانسانية ويبالغ فى مقتها وتحذير الناس منها حتى افضى له الكلام الى التنفير من شهادة الزور التى هى قلب للحقائق وعبث بها وبعد ان كان متكئا استوى جالسا واخذ يكرر التحوير من شهادة الزور فى ازعاج حتى ظنه اصحابه انه لا يسكت ، فانى احقاقا للحق وصدعا بالحقيقة اقول ان الرجل الوحيد الذى يحاول فى ذلك المجلس التاريخى الذى حضرته نخبة المستعمرين ان يرد كيدهم ويعطل صيدهم وينفره هو المرحوم الاستاذ الصادق التلاتلي الذى كان يصر فى عزم وحزم على حماية مشروع التعليم الحر من تداخل المستعمرين كيلا يمسخوه ويحولوا طاقته الى مصالحهم وقد شافه هذا الرجل الفاضل السيد التلاتلي مدير التعليم الفرنسى بقوله : انه لم يحضر بهذا المجلس ليكون ضدا له (قالها احترازا) ولم يحضر ليكون مؤيدا ومعينا وانما يجارى طبيعة الاشياء ويراعى مصلحة الشعب التونسى الذى لن يسمح بالحاق مشاريعه بمشاريعكم : قال ذلك فى صراحة وكان يجامل فيما لا تضر المجاملة ويصارح اذا شعر بالخطر ويخوف الخصم بالشعب واذا خرجنا من المجلس فانه يوعز الينا بان نحذر شديد الحذر ويصارحنا بذلك وطالما اشتبك فى نزاع مر مع السيد مصطفى زبيس نائب المعلمين ويتمنى لو وفقنا الى القيام بخطة موحدة تقضى على طليعة هذا التداخل المشؤوم وتفضى الى رفض التعاون مع الخصوم يقول ذلك عن عقيدة مخلصة لانه حلب الدهر اشطريه وشاهد عن كثب عندما كان يعمل بتلك الادارة آثار المستعمرين فى القضاء على معنويات هذه الامة بعد ان تفقه فى اسرار سياستهم الغاشمة ٠٠ وما يرمون اليه وما يبثونه من النوايا السيئة لشعب القته الاقدار بين ايديهم وهو يحاول الافلات من كيدهم وهم يطاردونه ٠٠٠ ولكننا والحق

يقال كنا فى ذلك المجلس الذى طوت صحيفته الايام بين مؤارب ومتق ومترام متهافت ؟ وهذه الخلال لا تخلق ولن تخلق منا جبهة موحدة او معارضة يعتدبها فضلا عن ان نقف فى وجه المستعمر ونصده عن عيثه وعبثه ونصارحه ولا نمكنه من قيادنا ونحول بينه وبين مشاريع اسسها الناس غيرة على اللغةوالدينوخوفا من طغيان المستعمر الذى يحاول انذاك الادماج والتنصير للشعب ويبحث عن العواتق الرخوة ليستخدمها فى سبيل اغراضه الاثيمة ويتوصل بها الى اخضاع كل عصى وفتح كل مغلق كى يفرض ارادته المطلقة ويتحكم فيها تحكم السيد فىعبيده وبذلك يطيب له المقام وتعذب له الاحلام. وتعددت الجلساتسنة 1937 وبعد ان انتهت صدر اثرها مرسوم ملكى قدمه المستعمرون بعد ان اعدوه مع تاشيرة مقيمهم عليه جريا على العادة وذلك فى 28 جوان سنة 1938 م ولم ينل هذا المرسوم ما يخشى مغبته من حرية المدرسة القرآنية وانما كان ارهاصا وتمهيدا للتداخل وغاية ما اشتمل عليه ابراز ذاتية المدرسة وتشريع شروط التعليم بها وبيان الكفاءات المطلوبة مع ضبط طريقة تحرير ميزانية المدرسة باحداث مجلس اسموه بمجلس المراقبة والاشراف حاول المستعمر ان يسند رئاسته للمراقب المدنى فاخفق كاحداثه لمجلس تاديب للمنحرفين عن الجادة وبذلك خطا المستعمر الخطوة الاولى التى توصل بها الى الوقوف امام المدرسة الحرة يراقب سيرها عن كثب ويفكر فى الخطوة الثانية (*) .

م. هـ. ع.

(*) راجع الحلقات السابقة فى أعداد « الفكر » ـ السنة 16 .

... واضحك رفضا ..!

بقلم : محمد مصمولي

المرأة قد تتعرى من لحمها والدم وتصبح كائنا من دخان فوق سيكارة بين أصابع شيخ متهدم ... وأيامنا التى كانت نارا ونورا قد تـذروها الريـاح وتصبح حفنة من رمال بين أصابع طفل قذر ، نزق شرس ... يهرول على الشاطىء ...

كائنات كانت ثم أصبحت تلك الحلقات الرمادية فوق سيكارة ، وأيام كانت لنا أشهى من كل أمنية ثم أصبحت تلك الحفنة من رمال تذروها الرياح ...

ولكن ، ولكن ، ولكن ... بكاسى المشرقة هذه ، **تضحكنى** كل المحطات التى يمر بها قطار الأشياء الجميلة الى الدخان ، والى الرمال والى العدم ... **تضحكنى** كل مناديل الوداع ، كل مدامع الألفة والضياع ... **تضحكنى** كما لم أضحك ، **تضحكنى** الى درجة الضجر ...

يوقفنى الشرطى فى الليل ويرجو منى تخفيض الصوت « رفقا بالنائمين » ، ثم يرجو منى بشراسة أن أكف أو أن أستخـدم « المـوجـة القصيـرة » فى الضحك ...

... واضحك ... مفكرا فى الشيخ وفى الدخان على سيجارته التى بين أصابعه ...

واضحك ... مفكرا فى الطفل وفى الرمال بين أصابعه ...

وتمتد نحوى الأصابع (خفية) ـ وأنا **اضحك** ـ وتشرئب نحوى الأعناق (مشفقة) ـ وأنا **اضحك** ، ويتهامس عابرو السبيل من السكارى قائلين : « حتما ، لقد فقد الرجل عقله ! » .

وضحكى هو رفض للشيخ ، وللطفل ، وللكائنـات التى تصبـح دخانـا ،

وللأيام التى تصبح حفنه رماد،وللمحطات التى يمر بها قطار الاشياء الجميلة الى العدم ، وللشرطى ، وللنائمين ، ولعابرى السبيل ، و ... لنفسى ..!

بكأسى المشرقة استقبل الندم ضاحكا كما يستقبل السياسى فيلسوفا ثقيل الدم ، بليد الخيال ...

فالندم هزيمتى وهزيمة السياسى الماكر ... لهذا كثيرا ما جعلت من كاسى قبرا لكل فيلسوف ثقيل الدم ، بليد الخيال ، ومن دخانى نسجت له كفنا ...

أيا كأسى ، المشرقة الموشحة بالدخان ، ما أجمل أن نبقى أصدقاء الى الأبد ، أصدقاء من نار ونور ...

م. م.

أهدانا الأديب **عزالدين المدنى**

نسخة من مسرحيته

ثورة صاحب الحمار

(الدار التونسية للنشر)

ونحن اذ نقدر هذه الهدية حق قدرها نشكره ونرجو له تواصل الجهد الخلاق والانتاج الادبى الجيد .

النوافذ

قصة ، بقلم : محمود طرشونة

سُحُب داكنة تحجب سماء المدينة ، وحرارة ثقيلة تسقط على جدران المنازل ، وصمت موحش يخيم على المدرسة ومن فيها ، وباب القسم ونوافذه موصدة . فلا يدخله الهواء إلا من شقوق ضيقة ، بل لم يعد الهواء قادرا على التسرب لان أنفاس التلامذة قد ملأت الجو وزادته تعفنا .

وقد أبى الجرس أن يدق منذ ساعات ، أو هكذا خيل لمن في القسم . أحسوا أن هذا الجرس اللعين لن يدق أبدا ، وأن كلام المعلم المسترسل لن يتم ... قرؤوا مرات متعددة كل ما كتبوه على الجدران والطاولات ، ومع ذلك فالحصة تتمطط وتتمدد ... قرؤوا شعارات مختلفة « بالعلم والعمل فرحة الحياة » « يحيا النجم الرياضي الساحلي » « بالتعاضد بالتصميم شعب الخضراء يعيش كريم » ... قرؤوا ما كتبه أحدهم بالطباشير الاصفر بالفرنسية على جدار القسم « Je me sens si seul ! » ليعبر عن حدة شعوره بالعزلة .

كل ذلك والمعلم يتكلم .

إنه يقطع القسم جيئة وذهابا ، ويطرق الارض

بحذائه ، وقد علق بصره بالسقف ، فلا يرى أحدا ، ولا يسمع أحدا ، ولا يشم شيئا ، بل هو غارق في حديثه الطويل وشرحه المستفيض لقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم .»

إنه لا يسمع حديث الاطفال ... ولا يعلم أنهم لا ينصتون إليه بل يحلقون بخيالهم خارج جدران القسم وبلور نوافذه المطلي بدهن أبيض . يقولون إن الربيع قد أزهر في الحقول ، وإن الطيور قد أكلت حبات الزيتون وإن البحر أخضر هذه الايام ... يقولون إن النسيم في الرياض بليل ، وإن الفراش بدأ ينتشر في المروج ، وإن النحل يمتص رحيق النوار ... يقولون إن أطفال المدينة يمرحون وينشدون ويرقصون ...

والمعلم يتحدث !

يقولون إن الصغار في عوالم أخرى هم أمراء الناس ، وأمراء البيان ، وإنهم بالحب والسحر والفن ينعمون .

قال المعلم : «والجنة جزاء المطيع ....»

فقال طفل : «وأين توجد الجنة ؟»

ـ اسكت يا كافر !

ـ وهل فيها طيور ، ونحل وفراش وزهور ؟

ولا يجيب المعلم ، بل يواصل شرح الآية .

ويواصل الاطفال حوارهم . ويتصورون أنفسهم خارج القسم ، وقد ركبوا زورقا وأبحروا . فغاصوا في أعماق

الْيَمّ ، وَأَطْلَقُوا زَوْرَقَهُمْ يَضِيعُ فِي الافُقِ ، وَمَرَحُوا مَعَ الاسْمَاكِ ، ثُمَّ رَكِبُوا أَجْنِحَةَ الطُّيُورِ وَعَادُوا إِلَى الشَّاطِيءِ .

وَالْمُعَلِّمُ يَتَحَدَّثُ .

وَالْجَوّ يَزْدَادُ ثِقَلا ، وَالْهَوَاءُ تَعَفُّنا ، وَالصِّبْيَانُ قَلَقا .

فَأُغْمِيَ عَلَى تِلْمِيذٍ .

وَالْمُعَلِّمُ يُوَاصِلُ كَلامَهُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَنْ طَاعَةِ الله ، وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ، وَطَاعَةِ أُولِي الامْرِ ، وَيَنْظُرُ إِلى سَقْفِ الْقَاعَةِ ، وَيَطْرُقُ الارْضَ بِحِذَائِهِ ، وَلا يَرَى أَحَدا ، وَلا يَسْمَعُ أَحَدا ، وَلا يَشُمّ شَيْئا . وَلَمْ يَتَفَطَّنْ لانْتِشَارِ رَوَائِحَ غَرِيبَةٍ فِي الْقِسْمِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنّ الاطْفَالَ قَدْ أَعْرَضُوا عَنْ سَمَاعِهِ وَاتَّجَهُوا لِعِلاجِ رَفِيقِهِمْ ...

وَفَقَدَ وَعْيَهُ ثَانٍ .

ثُمّ ثَالِثٌ .

ثُمّ رَابِعٌ .

وَالْمُعَلِّمُ يُتَابِعُ حَدِيثَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَهْلِ النَّقْلِ وَأَهْلِ الْعَقْلِ ، وَأَهْلِ الْحَلّ وَأَهْلِ الْعَقْدِ ، وَالامْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ...

وَالسُّحُبُ فِي السَّمَاءِ تَزْدَادُ تَلَبُّدا ، يَسُوقُهَا الرِّيحُ سَوْقَ الْغَنَمِ ، فَتَتَكَاثَفُ وَتَسْوَدّ ، فَيُظْلِمُ الْجَوّ ، وَتُقْفِرُ الشَّوَارِعُ ، وَتُغْلَقُ الابْوَابُ ، وَيَنْزِلُ الْمَطَرُ رَفِيقا لَطِيفا أَوّلَ الامْرِ ، ثُمّ مِدْرَارا فَيَّاضا ، يَصْحَبُهُ بَرَدٌ ثَقِيلٌ يَقْرَعُ بِلَّوْرَ النَّوَافِذِ

قَرْعاً ، فَيَنْشَقَّ ، ثُمَّ يَقْرَعُهُ قَرْعاً ، فَيَتَكَسَّرُ ، وَيَتَسَاقَطُ قِطَعاً صَغِيرَةً تَفْنَى فِي مَاءِ الْمَطَرِ ...

فَيَتْرُكُ الأطْفَالُ كُتُبَهُمْ وَأوْرَاقَهُمْ وَجُدْرَانَهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ، وَجَنَّتَهُ وَنَارَهُ ، وَقَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ ، وَحَلَّهُ وَعَقْدَهُ ، وَنَقْلَهُ وَعَقْلَهُ ، وَأمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَيَقْفِزُونَ مِنَ النَّوَافِذِ مُسْرِعِينَ ، مُتَصَايِحِينَ ، مُتَنَادِينَ ، مُنْشِدِينَ ، رَاقِصِينَ ... وَبَقُوا تَحْتَ الْمَطَرِ يَرْقُصُونَ وَيَتَقَاذَفُونَ بِالْبَرَدِ وَيَتَنَفَّسُونَ ...

عِنْدَ ذَلِكَ أغْمِيَ عَلَى الْمُعَلِّمِ .

م. ط.

ماى 1970

عندما نقطع الحبل

(مسرحية فى منظر واحد)

بقلم : عبد الجبار الشريف

مهداة الى آمنـــة

الاشخاص : صوت أول ، وصوت ثان

الزمن : ليـل

ديكور : لا شيء يبدو على المسرح .. أضواء حمراء خافتة ، ضعيفة ، ثم تقوى دفعة واحدة .. تخفت تدريجيا ..

يشعر المتفرج بأن المكان غارق في سكون عميق .. تطفأ الانوار .. يغـرق المكان فى ظلام دامس .. بين الفينة والاخرى تشع أنوار خافتة جدا .. تماما كالنجوم .. يسمع خرير مياه .. تسلط أضواء حمراء ضعيفة على بخار ينبعث من الماء الذى يغلى ولكننا لا نراه ..

تسمع أصوات الموسيقى التصويرية لبعض الوقت .. ثم تخفت شيئا فشيئا .. تنبعث أصوات آدمية مبهمة .. تشعل الاضواء .. لا شيء يبـدو عـلى المسرح الا حبلا متدليا من السقف .. تعزف الموسيقى التصويرية .. يبدو الحبل كأنه يرقص على نغماتها .. يظل المتفرج أمام هذا المشهد خمس عشرة دقيقة .. بعد المدة المعينة بثانية واحدة ، تسمع صرخة موسيقية للموسيقى التصويرية .. يتلاشى الضوء تدريجيا على المسرح حتى يغدو المكان فى ظلام دامس .. خرير المياه يعود ليسمع بوضوح .. الاضواء الخافتة الحمراء تعود هى الاخرى لتسلط على البخار المنبعث من الماء الذى يغلى والذى لا نراه .. الاصوات الآدمية المبهمة تسمع فى الظلام بوضوح ..

الصوت الاول : سنبقى هنا ، وعلى هذا الوضع طويلا ؟

الصوت الثانى : لعنة الله عليك .. لقد قطعت سلسلة تأملاتى

الصوت الاول : وفيم كنت تتأمل ؟

الصوت الثانى : فى القنطرة طبعا

الصوت الاول : صف لى شيئا من تأملاتك

الصوت الثانى : نعم ٠٠ سأصف لك ٠٠ انه مشهد رائع ٠٠ مشهد خلاب٠٠ انه رائع ٠٠ رائع ٠٠ انه ٠٠ انه ٠٠ لست أدرى ماذا طرأ على ٠٠ ليس فى ذاكرتى شىء ٠٠

الصوت الاول : من الواضح أنك لم تكن تتأمل شيئا

الصوت الثانى : وماذا كنت أفعل اذن طوال هذا الوقت ؟

الصوت الاول : لا شىء سوى التفكير فى وضعنا

الصوت الثانى : ماذا تقصد بوضعنا ؟

الصوت الاول : أننى لا أراك

الصوت الثانى : وهل من الضرورى أن ترانى وأنت تكلمنى ؟

الصوت الاول : أوه ، ليس من الضرورى ولكنها عادة

الصوت الثانى : وهذه أيضا عادة ٠٠ أن نجلس معا فى الليل يكتنفنا الظلام

الصوت الاول : كليلة الزواج مثـلا

الصوت الثانى : فى ليلة الزواج تكون مضطرا الى اطفاء النور

الصوت الاول : وهل نحن فى حالة طلاق ؟

الصوت الثانى : بل فى حالة زواج ، اننا فى الظلام ، اننى أعرف ماذا أفعل ، ماذا أقول ، وأحس به ، ولا أجد من الضرورى أن انظر اليك وانت تتحدث الى وانت تتوجع ٠٠

الصوت الاول : يخيل الى أنك تتوجع أيضا

الصوت الثانى : لم أعرف أنك تتوجع

الصوت الاول : اننى أحاول الا اتوجع هل تعرف لماذا ؟

الصوت الثانى : نعم ٠٠ أعرف ، لان أحدا لا يراك

الصوت الاول : حقا ؟ وهل من الضرورى أن تبكى ويراك أحد ؟

الصوت الثانى : لا ! ليس من الضرورى ، ولكن احساسك بأنك تكتب منغير وجود قراء يجعلك تيأس من نفسك ووجودك ويدفعك الى تحطيم قلمك وتمزيق ورقك ٠٠ والذى يتزوج أيضا يشترط ان يكون هناك جمهور ، واذا لم يكن هناك جمهور فان المتزوجين يتواجهان ليلا ونهارا ليتعاونا على ايجاد جمهور من الاطفـال ٠

الصوت الاول : جمهور معجب بهما قطعا ؟

الصوت الثانى : جمهور يدفعان له الصحة والحب والمال لكى يعجب بهمـا أو لكى يلعنهما

الصوت الاول : من الواضح انك تحبذ اشتراء الناس ليلعنوك ؟

الصوت الثانى : الذى لا يلعنه الناس هو فى عداد الاموات

الصوت الاول : ان هذا أمر عجيب حقا ، أنا ميت اذن لانى لا ألعنك

الصوت الثانى : أنا لا أذكر أنك مت

الصوت الاول : ولا أنا

الصوت الثانى : ولا أنا ٠ يخيل الى انك لم تمت

الصوت الاول : شىء عجيـــب

الصوت الثانى : لابد من التوصل الى معرفة هذا السر

الصوت الاول : يبدو أننا لن نتوصل الى معرفة هذا السر ٠٠ وما دام الامر كذلك فلنترك التفكير فى هذا الامر ونحاول أن نفكر فى تغيير وضعنا

الصوت الثانى : اكتشفت السر ٠٠ انت حى ٠٠ انك تلعننى الآن ، تهاجمنى، تقول ينبغى ان نفكر فى تغيير وضعنا ، أنت ترى أننا من الافضل أن ننفصل، ان نتخلص من الحبل الذى يربطنا ، انت ترى أنه يجب لفه حول أيدينـا ، أو وضعه على الارض فندوسه أو نلوح به فى الهواء فتلتقطه أصابع سحرية مجهولة ٠

الصوت الاول : ماذا ؟ هل تعنى أن هذا الحبل هو الوحيد فى حياتنا ؟

الصوت الثانى : لا طبعا ، بل ليس هو الوحيد الملفوف حولنا

الصوت الاول : هناك آلاف الحبال اذن ؟

الصوت الثانى : بالضبط ، آلاف آلاف الحبال ، نحن مشدودان بعضنـا الى بعض ، فتفكيرنا نفس التفكير ، ومشكلاتنا وعواطفنا نفس المشكلات والعواطف وكل منا قد اتخذ نفس الوضع ، وأيضا كل واحد منا لا يريد أن يمد يـده ليتحسس مكان الحبل ٠

الصوت الاول : فى رأيك ، ما الذى يمسك بعضنا الى بعض ؟

الصوت الثانى : أننا نتكلـــم

الصوت الاول : لنسكت اذن

الصوت الثانى : لا أستطيع أن أتوقف عن الكلام ٠ هل تستطيع أنت ؟

الصوت الاول : لست أدرى ٠٠ لم أجرب
الصوت الثانى : هل تسمعنى وأنا أتكلم ؟
الصوت الاول : كلا !
الصوت الثانى : وما الذى كنت تفعل ؟
الصوت الاول : كنت مشغولا بالتحدث اليك ــ وعندما أتحدث لا أسمع غير الكلام الذى أقوله ٠
الصوت الثانى : تتكلم ؟ هل كنت تتكلم ؟
الصوت الاول : طبعا كنت أتكلم لقد تعبت من الكلام
الصوت الثانى : أنا لم أسمع أى كلمة
الصوت الاول : شىء عجيب ٠٠ أنت لم تسمعنى وأنا الآخر لم أسمعك ٠
الصوت الثانى : هل أنت واثق من أنك كنت تتكلم
الصوت الاول : هذا هو الشىء الوحيد الذى أنا واثق منه
الصوت الثانى : شىء غريب ٠
الصوت الاول : اننا لا يستمع بعضنا الى البعض ، لاننا كنا نتكلم بقلوبنـــا لا بالسنتنا
الصوت الثانى : هل تشعر بشىء يمر بيننا ؟
الصوت الاول : بيننا ؟ أين ؟ تعنى الساعة ؟
الصوت الثانى : ساعة ؟ أية ساعة ؟ هل معك ساعة ؟
الصوت الاول : الحقيقة ، لا أعرف هذه الكلمة وانما أتذكرها أحيانا
الصوت الثانى : أنت تتذكر ؟ لم يخطر على بالى أنك تتذكر
الصوت الاول : أوه ، أفكر أحيانا وأحس أن هذه الافكار قد كانت فى راسى منذ حين ؟!
الصوت الثانى : منذ حـــين ؟
الصوت الاول : من قبل أن نكون هنا
الصوت الثانى : هنا ؟ أى هنا ؟
الصوت الاول : ألا تعرف معنى هنا ؟
الصوت الثانى : أين نحن ؟ ما هذا المكان الذى نحن فيه وكيف اجتمعنا هنا ؟

الصوت الاول : لم يخطر على بالنا أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال ٠
الصوت الثانى : حقا ! اين نحن ؟
الصوت الاول : هل تعلم أين نحن ؟
الصوت الثانى : كل ما أعرفه أننا هنا فى هذا المكان ٠٠ ولكـنى لا أعـرف شيئا عن المكان ولا متى وكيف اجتمعنا هنا
الصوت الاول : انك بالقرب منى
الصوت الثانى : بالقرب منك ؟ أين ؟
الصوت الاول : هنا ٠٠ فوق
الصوت الثانى : فوق ؟ فوق أى شىء ؟
الصوت الاول : فوق قنطرة ٠٠ فوق البخار ٠٠ انك هنا منذ حين ؟
الصوت الثانى : أى حين ؟ هل تذكر ماذا حدث منذ هذا الحين ؟
الصوت الاول : كل ما أذكره أننا هنا فوق قنطرة ٠
الصوت الثانى : وهل من الضرورى ان يكون الانسان فوق شىء ؟
الصوت الاول : الانسان ؟ اننى لا أعرف هذه الكلمة ؟ هل تعرفها أنت ؟
الصوت الثانى : هذا شىء يحير الالباب ، ألا تعرف أنك انسان ؟

الصوت الاول : لماذا ؟؟
الصوت الثانى : لانك لا تستطيع أن تلجم لسانك
الصوت الاول : تعنى أسكت
الصوت الثانى : أعنى ذلك
الصوت الاول : ألاننى أسالك
الصوت الثانى : لانك لا تنتظر الجواب
الصوت الاول : وهل أنت انسان أيضا ؟
الصوت الثانى : لانك تشتهى ٠
الصوت الاول : لم أكن أتصور انى انسان ٠ ولكن منذ متى انا انسان ؟
الصوت الثانى : منذ أحسست بأن بيننا شيئا يمر ، يتحرك
الصوت الاول : وما هو هذا الشىء ؟
الصوت الثانى : هذا الشىء ٠٠٠ هذا الشىء ٠٠٠ لا أعرف شيئا عن هـذا الشىء ٠

الصوت الاول : اذا كان الامر كذلك فانه لا يوجد هذا الشيء ٠

الصوت الثاني : غير معقول بالمرة ٠٠٠ أنا واثق من وجود هذا الشيء ٠

الصوت الاول : انه شيء يتبخر اذن ؟

الصوت الثاني : ونحن أيضا نتبخر كماء النهر

الصوت الاول : ولكننا لا نغلي

الصوت الثاني : نحترق

الصوت الاول : نموت

الصوت الثاني : ونحن هنا

الصوت الاول : ونحن هناك

الصوت الثاني : أين ؟

الصوت الاول : أين ؟

الصوت الثاني : أين ؟

الصوت الاول : لم أسمع شيئا ؟

الصوت الثاني : أين ؟

الصوت الاول : بعيدا

الصوت الثاني : عن زوجتك ؟

الصوت الاول : زوجتي ؟ زوجتي تكره هذا ؟

الصوت الثاني : تكره أن يكون بينكما شيء يمر

الصوت الاول : ولماذا هي تحب هذا الذي يمر بينكما ؟

الصوت الثاني : لن أخبرك

الصوت الاول : لم أكن أتصور الحقيقة بهذه البشاعة

الصوت الثاني : شيء رهيب ٠٠ رهيب جدا

الصوت الاول : ما هو ؟ تكلم ؟

الصوت الثاني : لانك أنت تكرهه

الصوت الاول : وهل زوجتك تعرفني ؟

الصوت الثاني : انها لا تعرفك

الصوت الاول : انها تكرهني وتمقتني لانها لا تعرفني

الصوت الثانى : مثلى تمـامـا
الصوت الاول : وهى تكرهك لانها تجهلك
الصوت الثانى : كل زوجة لا تعرف زوجها ٠
الصوت الاول : ولأجل ذلك تكرهه ٠
الصوت الثانى : وتحبك أنت
الصوت الاول : ولكنها لا تعرفنى
الصوت الثانى : الى أن تعرفك
الصوت الاول : وبعد ذلك تكرهنى
الصوت الثانى : تكرهنى أنا كذلك
الصوت الاول : أنظر جيدا هل لاحظت شيئا ؟
الصوت الثانى : أين ؟
الصوت الاول : تحتنا
الصوت الثانى : القنطـرة
الصوت الاول : أهذه قنطـرة ؟
الصوت الثانى : أو ممـر
الصوت الاول : ممر فوق مـاء
الصوت الثانى : فوق ماء ؟
الصوت الاول : البخار يدل على ذلك
الصوت الثانى : كل بخار دلالة على وجود ماء
الصوت الاول : ووجود نار أيضا
الصوت الثانى : دموع الزوجة ماء
الصوت الاول : نار حامية
الصوت الثانى : نار سائلة
الصوت الاول : وأنت فيهـا
الصوت الثانى : وأنت فيهـا
الصوت الاول : الماء يغلى والنار تسيل
الصوت الثانى : وأنا أغلى
الصوت الاول : وأنا أغلى

الصوت الثانى : أريد أن أسيل
الصوت الاول : أريد أن احترق
الصوت الثانى : والحبـل ؟
الصوت الاول : حبل ؟ حبل ؟ أى حبل تعنى ؟
الصوت الثانى : الحبل الذى يشدنا ويربطنا
الصوت الاول : يربطنا أين ؟
الصوت الثانى : ألا تشعر به ؟
الصوت الاول : أين ؟
الصوت الثانى : من لسانك
الصوت الاول : لسانى ؟
الصوت الثانى : من يديـك
الصوت الاول : يداى ؟
الصوت الثانى : من زوجتك
الصوت الاول : زوجتى ؟
الصوت الثانى : نعـم
الصوت الاول : زوجتى لها حبل ؟
الصوت الثانى : ألم تمت ؟
الصوت الاول : كيف ؟ ماتت ؟ لا أذكر أنها ماتت
الصوت الثانى : لماذا ؟
الصوت الاول : لانها تعيش فى ذاكرتك وفى ذاكرتى
الصوت الثانى : ولكنها ميتة
الصوت الاول : ميتة الجســد
الصوت الثانى : وهذه هى صفة الموتى
الصوت الاول : ولكنها حية فى ذاكرتنا نحن الاحياء
الصوت الثانى : ومتى تموت ؟
الصوت الاول : عندما أمــوت
الصوت الثانى : وأموت أنا الآخر

الصوت الاول : والحبـــل ؟
الصوت الثاني : الحبل ؟ أى حبل هذا الذى تعنى ؟
الصوت الاول : الحبل الذى يشدنى اليك
الصوت الثاني : تعنى لسانك ؟
الصوت الاول : لسانى وأذنيـك
الصوت الثاني : فلنقطـع الحبـل
الصوت الاول : كيف ؟
الصوت الثاني : ان يتوقف أحدنا عن الكلام
الصوت الاول : جرب أنـت
الصوت الثاني : جرب أنـت
الصوت الاول : لن أجرب
الصوت الثاني : لن أجرب
الصوت الاول : أنت وشأنـك
الصوت الثاني : هل تكرهنى ؟
الصوت الاول : أكرهك ؟ انى أكره زوجتى فحسب
الصوت الثاني : ألست كزوجتـــك ؟
الصوت الاول : لولا أنك تريد ان تتخلص منى
الصوت الثاني : وزوجتـك لا تريد ؟
الصوت الاول : لست أدرى
الصوت الثاني : يخيل الى أنك تريد التخلص منها
الصوت الاول : ولكن كيف ؟
الصوت الثاني : انسهـــا
الصوت الاول : وقلـبى ؟
الصوت الثاني : قلبـــك ؟
الصوت الاول : قلبى يحبها
الصوت الثاني : كل شىء يزول
الصوت الاول : حتى الذكرى ؟

الصوت الثاني : حتى الذكرى

الصوت الاول : عجيب أن يحب الإنسان فى هذه الحياة ثم ينسى كأن لم يكن شىء

الصوت الثانى : الحب كأنغام الموسيقى يتأثر بها الانسان وينفعل لها لبعض الوقت ثم يضيع كل شىء ٠

الصوت الاول : لتنطلق زوجتى الى عالم النسيان

الصوت الثانى : الحبل

الصوت الاول : هل أقطعه ؟

الصوت الثانى : لابد من ذلك

الصوت الاول : واذا قطعته أستريح ؟

الصوت الثانى : شريطة وجود غيره

الصوت الاول : وأين ؟

الصوت الثانى : هنا

الصوت الاول : فوق

الصوت الثانى : فوقنا

الصوت الاول : النجوم

الصوت الثانى : والبخار

الصوت الاول : والقنطرة

الصوت الثانى : والماء تحت القنطرة

الصوت الاول : وزوجتك ؟

الصوت الثانى : وزوجتك

الصوت الاول : لماذا يجلس الناس هكذا ؟

الصوت الثانى : انهم يرفضون التزوج بكل شىء

الصوت الاول : وهل يتزوج الناس كل شىء

الصوت الثانى : انهم لايريدون ان يتخلصوا ،، يتزوجون البيت والشارع والمصنع والجلوس فوق البخار

الصوت الاول : ألا تريد أن تتزوجنى ؟

الصوت الثانى : وهل أنت تريد ؟

الصوت الاول : لا أريـد

الصوت الثانى : اذن ؟

الصوت الاول : لنتكلـم

الصوت الثانى : لنتكلـم

الصوت الاول : وأنا أسمع

الصوت الثانى : وأنا أسمع

الصوت الاول : والحبل ؟

الصوت الثانى : نقطعـه

الصوت الاول : ندوسه

الصوت الثانى : نقطعه

الصوت الاول : بأسناننـــا

الصوت الثانى : بأسناننـــا

(**يرتفع** صوت الموسيقى التصويرية مختلطا بأصـوات مبهمـة توحى بأنهماكهمـا فى تقطيع الحبل ·· تتلاشى الاصـوات المبهمـة وصـوت **الموسيقى** تدريجيا ·· تشعل الاضواء لاشىء يبدو على **المسرح سوى** حبل متدل مقطوع · تسدل الستائر ببطء) ·

ع – ش

تصـــويـب

فى الدارسة التى عنوانها : لماذا التعـريب ؟ الصـادرة بالعـدد السابع من المجلة نسبت ، خطأ ، الفقرة الثالثة من صفحـة 50 الى أبى القاسم الشابى وهى فى الواقع للاستاذ محمد الحليوى ، فمعذرة لأديبنا وقرائنا الكرام · والعذر عند كرام القوم مقبول ·

البشير بن سلامة

بقايا رجال

قصة ، بقلم : مصطفى التواتي

(٠٠٠ طق ٠٠٠ طق ٠٠٠ طق ٠٠٠ طق ٠٠٠)

ــ « لم نصل بعد ؟ ! »

ــ « لا ٠ لم نقطع سوى 100 م من 370 م » ٠

ــ « أف ! أصابني الدوار ، وأخشى أن تزل قدمي فأهوى الى الحضيض » ٠

ــ « لا تخش شيئا ٠٠ فسوف لن تكون الاول ولا الاخير » ٠

ــ « عهدت السلم للصعود في دنيا الناس ٠ فاذا هي في دنياكم تستعمل للنزول من الارض الاولى الى الارض السابعة » ٠

ــ « طريقهم غير طريقنا » ٠

ــ « لكن كيف تنزلون من هذه السلم وتصعدونها أربع مرات يوميا ؟ »

ــ « وما العجب ؟ نحن تعودنا ٠ وانت أيضا سوف تتعود ٠٠٠ ها قد وصلنا » ٠

ــ « حمدا لله على السلامة ! » ٠

ــ « هه ٠٠ السلامة تركتها فوق ٠٠ إنها لا تدخل هذا المكان » ٠

نظرت حولنا فاذا نحن في ظلام دامس ٠ ومد رفيقي يده الى مصباح « الكربون » فنزعه من على كتفه وأضاءه ٠ وفعلت فعله ، ثم مشينا قليلا وسط الماء والوحل ٠ رفيقي يسير بخطى ثابتة لمعرفته المكان ٠ أما أنا فكنت أخطو في تردد وخوف ٠ وكان صديقي يصيح في منبهه بين الفينة والاخرى : « انتبه ٠٠ أمامك هوة ! لا تمر من هناك حتى لا تدفن حيا ٠٠ »

ــ « ما هذه الاشباح التي تبعث بنور ضعيف ؟ إنها تذكرني بحديث جدتي عن « العبابيث » ٠

ــ « إنهم رجال ــ عفوا ــ بقايا رجال ٠ واذا شئت الدقة ٠ فقل :

كتل من اللحم البشرى الرخيص جدا [×] جرود أحذية مطاطية [×] خرق بالية ملوثة بالتراب الأحمر [+] مصابيح « كربون » مضاءة [×] كميات من البؤس ٠

ــ « منظر مخيف !!! »

ــ « هذه نظرتك الآن ، أما بعد قليل ، عندما تصبح بقية رجل فسوف يتغير رأيك ٠٠ » = « الله يعينكم » ٠

ورفعت بقايا الرجال الينا عيونا ذابلة ، غائرة ، كأنها علامة خطر تطل من خلف الشفق المظلم ٠ وهمست : « يعيننا ويعينكم ٠٠ » ٠

[آ ٠٠٠ آ ٠٠٠ آ ٠٠٠ آ ٠٠٠ أ ٠٠٠ آ ٠٠٠ آ ٠٠٠]

مزقت هذه الصيحة مسمعي ، وقال رفيقي : « إنها إشارة لبداية العمل » فقلت له : إنها بداية مزعجة أما وجدوا غير هذه الصيحة يبدؤون بها ؟! » ٠

ــ « حياتنا كلها صيحة كبيرة ٠ وعندما تسمع مثل تلك الصيحة يطلقها « بقية رجل » من تحت الانقاض فسوف لن تراها مزعجة بعد ٠٠ كنت مثلك ثم تعودت ٠٠ » ٠

وأشار صديقي الى أحد « البقايا » قائلا : « ها هو (الكبران) » وناداني الكبران ــ « ماذا تريد يا أنت ؟ » ٠

ــ « أبحث عن الخبز » ٠

ــ « آه ٠٠ أنت العامل الجديد ؛ خذ معولا واذهب مع هؤلاء » ٠

نحيت عني ثيابي كالآخرين وتمنطقت بالخرقة الزرقاء سترا لعــورتي ٠٠ أصبحت « شبحا » ، « بقية رجل » بدأ الرجل في ينوب تاركا بقاياه ٠٠

ــ « كيف سيكون العمل يا ترى ؟ »

ــ « بسيط جدا ٠ إنه مجرد مقابلة مع الموت لمدة 8 ساعات ــ يا أخي ٠٠ »

ــ « واذا انتصرت ألا أستحق شهرة أبطال الملاكمة ؟ »

ــ « لا ٠٠ »

ــ « ولم ؟ وقد انتصرت على عزرائيل وما أدراك ؟ »

ــ « لأن الملاكم عندما يلعب لصالح جمعية ما فهو يلعب مقابل أكداس من الدولارات أما أنت فتلعب لصالح الدولة مقابل « مليمات » ٠٠ »

ـ « معك حق .. كنت مغرورا .. »

بدأ العمل . الحرارة أشد من الشديدة .. أخذ العرق ينهال من جسدى فيمتزج بالتراب الاحمر .

« انشط .. تحرك .. تستريح !!!؟ هكذا بكل وقاحة ؟ ثلاثة أيام كافية لتستريح . هيا أترك العمل ... »

وتعلق المغضوب عليه برداء « الكبران » يطلب الرحمة والغفران : « ثلاثة أيام بطالا ! يا رسول الله وأولادى العشرة من أين يأكلون ؟ أنا مؤمن مثلك ارحمنى .. »

« الرحمة فى بحيرة حمزة » .

وانساب المطرود يغادر المكان جارا قدميه وكأنه يحمل عبئا ثقيلا ، بل إنه يحمل جوع 12 بطنا لمدة ثلاثة أيام .

رفعت « بقايا الرجال » عيونها نحو « الكبران » عيونا تشتعل فيها الثورة كالنار تحت الرماد . هل تكشف العاصفة الرماد عن الجمر ؟ إن البطالة شبح مخيف تخشاه حتى العاصفة . ونكست الاشباح رؤوسها وعادت الى العمل . يظهر أنها تعودت تلك المشاهد .

ـ « صديقى .. تعبت كثيرا ، والعرق يقلقنى فمتى ستكون الاستراحة ؟ .. »

ـ « اسمع .. ها هى اشارة الاستراحة .. هيا بنا نقضم خبزنا .. »

رميت المعول من يدى وجلست على كومة من التراب بجانب صديقى . وأخرجت ـ كالآخرين ـ قطعة الخبز الجاف من مخلاتى وبدأنا . نقضم طعامنا . وأشار رفيقى الى أحد العملة وهو منطو على نفسه فى ركن من أركان المنجم كقطة تطلب الدفء . وقال لى : « مسكين إنه لا يملك قوت يومه . ومنذ ثلاثة أيام لم يأت معه بطعام . أما صغاره فلست أعرف كيف يعيشون . بل بالاحرى كيف لا يموتون ! »

ونادى رفيقى «الهدام » وألح عليه أن يشاركنا خبزنا . زاعما أنه رآه لما أسقط منه خبزه فى الوحل . وكان صديقى كاذبا فى زعمه . وإنما خشى أن يجرح شعور « بقية الرجل » اذ أن لهؤلاء بقايا من مشاعر أيضا .

وكان الدم ينزف من إصبع الخدام بالعرق والتراب الاحمر والخبز الجاف ثم يأخذ طريقه الى جوفه الخاوى ٠ وكان فكه يتحرك فى يسر لشدة ما تعود من راحـة ٠

وبعد نصف ساعة عدنا الى العمل ٠

« آى ٠٠٠ ى »

صيحة حادة ٠ اقشعر لها بدنى وخفق قلبى ٠ وهرولت « البقايا » نحو مكان الصيحة وهرولت معها فرأيت جزءا من اللحم البشرى مغموسا فى كومة من الوحل والحجارة ٠٠ رأس !!! نعم انه رأس بشرى مغموس ـ كالبصلة ـ فى الوحل ، ويد تبحث عن شيء تتشبث به ، وشرعت المعاول فى الكشف عن بقية « بقية الرجل » الموؤودة ٠

« لم يعد يتحرك !! » « ولا يتنفس !! » « مات !! » « لا حول ولا قوة إلا باللـه ! »

لقد اصبح ذلك المسكين فى لحظة معجونا من لحم مهـروس [×] عظـام محطمة [×] وحل [×] حصى : أصبح كمعجون « الكفتة » ٠

نظرت من حولى فاذا الوجوه بعضها شديد الشحوب فيها معان ومعان ٠ وبعضها الآخر قد ألف معاشرة عزرائيل ٠ ووجوه أخرى قد امتزجت عليها قطرات العرق بالتراب الاحمر وسيل من الدموع ٠

أما أنا فرميت المعول من يدى وذهبت فلبست ثيابى ٠ وسألنى الكبران : « إلى أين ؟ »

فأجبته : « إلى دنيا الناس » ٠

ـ « لـماذا ؟ »

ـ « لأننى أريد أن أعود رجلا كما كنت لا بقية من رجل » ثم تشبثت بالسلم وصعـدت ٠

[١٠ هـ ٠]

م٠ ت٠

تبت يدا

شعر : الطاهر الهمامي

« تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبْ »
الجُمُعَه
لحْم وَعِنَبْ
السَّبْتْ
يَهُودِيٌ يَعْفِسُ عَلَى ظِلِّ العَرَبْ
الاحَدْ
نَصْرَانِيٌ يَهْوَى وَيُحِبْ
الاثْنَانْ
سَبُّورَة مَمْسُوحَه
وَتِلْمِيذٌ مُكْتَئِبْ
الثُّلاثَاء
عِبَادَةُ كُتُبْ
الاربعَاء
حَبْلُ غَسِيلْ
وَشَاعِرٍ يَمُوتُ بَرْدًا وَغَضَبْ
الخَمِيسْ
قِطٌّ وَقِطَّه
وَسَرِيرُ حُبْ

الجُمُعَه
مَعْرِضُ لحُومْ
وَأثْمَانُ مُرْتَفِعَه

السّبتْ
يَوْمُ حِرْمَانٍ وَكَبْتْ

الاحَدْ
مَوْعِد عَرَبِي
وَقَلَق مُمْتَدْ

الاثنان
تُضْرَبُ عَلَى قَفَاهْ
وَأَفْقِدُ الاتّزَان

الثُلاثاء
حَرْبُ أعْصَابْ
وَحَرْبُ عِصَابَاتْ

الاربعاء
مَمْنُوعْ مَمْنُوعْ
أنْ تَعْبُرَ عَبْرَ الكَلِمَاتْ
وَأنْ تُضْرِبَ عَلَى الجُوعْ

الخَمِيسْ
بِدَايَةُ الغِشّ وَالتّدْلِيسْ

الجَمُعَه
مُبَاحَةُ لَكُمْ
وَعَلَيْنَا مُمْتَنعه

السَّبْتْ

أنَا صُلِبْتْ

عَلَى سَمَاءِ مَنْ كَذِبتْ

الاحَدْ

قَادِمٍ إليكْ

« بِحَبْلٍ مِن مَسَدْ »

الاثنانْ

هَذِهِ المَاكِرَه

تُنْذِرُ بالوَيلْ

وَتَعِدُ بالخُسْرَان

الثُلاثَاء

شَطَبْتُ عَلَيكَ بِالقَلَمِ الاحْمَرْ

غَسَلْتُ منك يدي

سَقَطتَ مِنْ عيني

لانَّكَ لَمْ تَثُرْ وَلَمْ تَثْأرْ

إلاّ لتصْبحَ بُورجْوَازِيًّا

الاربعاء

أيَّام أرْبَعَه

يَسْرقُهَا الخَمِيسْ

تَسْرقُهُ الجُمُعَه .

ط . ه .

تونس 71

لافتات... قف

شعر : عبد الله الكحلاوى

(إلى الذين زيفوا الحقائق فى العالم العربى)

① اللعنـة

أسبكم ، أسبكم بكل ما فى القلب من تعاسة المتعوسين
أسبكم ، أسبكم بكل ما فى الجسم من شرايين ...
أسبكم ، أسبكم بكل ما فى الحقد من مفاهيم ...
أسبكم ، أسبكم بكل ما فى الجرح من جراثيم
أسبكم لأنكم طمستم الحقيقه ...
لأنكم لأنكم دلستم الوثيقه ...
أسبكم لأنكم زيفتم الاحساس
رميتم الزمان بالعقم والافلاس ...

② التابـوت

أجسامكم تحنطت ، أفكاركم ذابت
عقولكم تجمدت ، أبصاركم زاغت
لأنكم ، لأنكم عبدتم التابوت
عشقتم السكون والسكوت

عقولكم عقولكم فى الطين والأوحال
يا ويحكم يا ويحكم من لعنة الأجيال ...

③ أزاهر « الدفلى » (1)

ما دامت الأرض تميد بالجرب
ما دامت النفوس من بضاعة الخشب
ما دامت القسمة بينكم ضيزى (2)
والموت فى نفوسكم غريزه
ما دامت الأرواح فى الأراضى السفلى
ما دامت البنور من أزاهر الدفلى
ما دامت الأرض بمن عليها
فى قبضة الجلاد و « القديس »
لن تقرع الأجراس والنواقيس

ع . ك .

(1) الدفلى : تزهر ولا تثمر مع مرارة فى المطعم .
(2) ضيزى : كلمة قرآنية ، تعنى : غير عادلة .

مذكرة ذبابة على جدار افريكا !

الاهداء : الى صديقتي الذبابة التي أصرت على مرافقتي وملاحقتي حتى نزل أفريكا حيث انطلقت تسود مذكرتها على احد جدرانه في يوم شديد الحر .
(فجعلتني بذلك شاهدا لها وعليها)

شعر : أحمد الحباشة

1. — حدّثتْ ذبابَةٌ قَالَتْ :
« عندمَا كنتُ ! آه أميرة
حميلة صغيرة
أقتاتُ وأشربْ
أينما كُنْتُ
واختالُ أخْتَالْ
فوقَ الوجوهِ الكبيرهْ
فتذبلُ تحتَ جَنَاحِي
أمنياتِي وصبَاحِي
وَشَمْسُ الكِبْرِيَاء
عندما كنتُ مِثْلَ ألوانِ
السَّماءِ . صغيرة كنتُ .
أغنّي فِي البيوتِ المقفِرَة
وارقص بنغمتي

مثلما يقطرُ الخلّ
في زوَارقِ العيُـونْ
وفوْقَ أهْرَامِ الانُوف
بِنَغْمَتِي ينتفضُ الفرَح
وينعَمُ الصّغَارُ والكبَارْ
حولي يصفقُونْ !
يطاردونَ أنْغَامِي
يكسرُّونَ فرْحَتِي
منَ السّقف حتّى الجدَارْ .
لانّني يا حسرتي ذُبَابَهْ .

II. — قهْقهَاتُ ذُبَابَةْ :

1. — أقلقهُمْ بفرحَتِي
أضْجرُهُمْ بالضّحِك .
أخطُّ في وجوهِهِم سطورَ مأسَاتِي
وأزْرَعُ الحروفَ بالدّمْ
وأغرسُ قلبِي بينَ أيْدِيهِمْ
أفلِي بِهِ عرُوقَ الالَمْ
لانَّنِي ذُبَابَةْ
أعيشُ ، أعيشُ ، أعيشْ
بِجرَاحَاتِ الكتَابَةْ !

2. — أشَوّشُهُمْ أنا الذّبَابَةْ
بِضَحْكَتِي المُقَهْقِهَةْ
بالضّوْءِ
بالبَيَاضِ

بـالـرّتـــابَهْ
سأقهْقِهُ فيكُمُ حتّى الغنـــاءْ
سأذُوبُ فِي وُجُوهِكُمْ . يَا أغْبياءْ
سأقطُرُ مِنْ سُخْفِكُمْ
وأنفُخُ قلُوبكُمْ رِيحا مبلولة بالمـاءْ
للـزّمَـنِ المُغتـالْ
الزّمَنِ المعذّبِ الدجّالْ
زَمَانُنَا الرّاحِلُ في جسمِنـا
سيَزرَعُ إحساسَنـا تُفّاحْ
تَـذُوبُ فِي ألـوَانِه
زَقزَقَةُ الجَفَافِ على الجُدْرَانِ والالواحْ

3. ــ زَمَنِي يَـا زَمَنَ المَنـاشِيرْ
أنـا ذُبـابَة على الجِدارْ
سأكتُبُ مُذكَّرَة
تَفْهَمُهَـا . تذْكُرُهَا . تُعيدُهـا .
أجْيَـالْ .
يَـا زَمَنا مغتالا مُغْتَـالْ !.

4. ــ فِي كَفِّكَ تَحَجَّرَ الإحْسَاسْ
تَعَفَّنَ الكَـلامْ
والهَـــوَاءْ
تَعَفَّـــنْ .
صهيلُ الصّبح والمَسَاءْ
عَلَى جِدَارِ الزّمَنْ .
هَـذَا الجِـدَارُ يَـا زَمَنِـي !

5. ـ آنْظُرْ إلَيَّ . سَأَبْكيكْ
سَأَضْحكُكَ ، بِالضَّحكِ البَكَّاءْ
وَحَفْنَةٍ مِنْ مَاءْ
يَا كَانِسَ الإحْسَاسْ
زمني يَا زَمَنَ الإفْلاَسْ !

III. ـ أنَاشيد على الجدار .

ـ أ سأحفرُكِ يا شَمْسَ عمري
بمسحاة وَاقِعٍ مظلمْ
وأضربك بِعَصا قديمَةْ
ورثْتُها عَنْ جَدّي القديمْ

ـ ف أقومُ بِها شُقُوقَكِ المُعْوجة
لأنها . أضجرتني ، أتعبَتْني
ذَوَبَتْ فِيَّ بحارَ التَّعَبِ !

ـ ر أبيعُكِ :
بُرْتُقَالة فِي السوقْ
نُبَلِّلُ رِيقِي
تَغْسِلُ قَلْبِي :
أنَا الذّبَابَةْ

ـ يـ أبيعك غَداً .
لاختي الفَرحانهْ . أختِي الجَوعَانَةْ
بسوق المجَاعةْ !

ويشتربك أبي
بحفنة مسمومة . تسمى . نقود ! !

– كذا (النبأ الاخير)

سيأتي من يزورني
من يفضح البياض . ليزهر الشجر
من يكشف بكارة المذكره
من يضحك الحجر .
من ينطق الجدار
عن واقع .
في الواقع .
كواقع البشر ! :

أ. ح.
15 – 1 – 71 – تونس

مطالعات

مشموم الفل (*)

مجموعة قصصية بقلم : البشير خريف

مقدمة ، بقلم : محمد مزالي

عندما رأيت البشير خريف لاول مرة فى أواخر 1958 عند زيارته لاسرة « الفكر » فى لقائها الاسبوعي بنادى قدماء الصادقية ، وعرض قصته « حبك درباني » أو « افلاس » للنشر تباعا على صفحات المجلة ، لم أكن أعرف عنه شيئا ذا بال ، اذ لم يسبق له ذكر فى الصحف الادبية ولا اشتهر بعمل ضمن النوادى والجمعيات الثقافية ، أو استقطب حوله نخبة من الطلبة والمريدين بفضل نشاط جامعى أو اشعاع مدرسى . ذكرت فقط أن أخاه مصطفى خريف ، صاحب ديوان « شوق وذوق » ــ رحمه الله ــ حدثنى عنه ذات يوم من سنة 1957 مشفقا أن تنهار أعصابه وتضيع مواهبه الادبية بسبب عمله المرهق كمعلم بمدرسة نهج النفافتة المهنية للفتيات .

وبدأ يتلو مخطوطه فى حياء وحماس معا . وما كاد يبدأ الحوار بالعامية وتترى الاشارات الى البيئة التونسية والسمات القومية حتى تضاحك البعض وتهامس آخرون . وكانت دقائق حرجة كادت تقع فيها القطيعة ، لان البشير خريف يجمع بين قوة الشخصية والثقة فى النفس وبين فرط الحساسية والشعور المرهف بالكرامة . وخشيت الصدمة والصدام فتسلمت النص ووعدت بقراءته وتقديم تقرير عنه .

والواقع انى ما كدت أطالعه مساء ذلك اليوم حتى جذبنى له انجذابا وشدنى اليه شدا فما زلت به حتى فرغت منه دون توقف . لقد وجدت فى « حبك درباني » فنا ذا كثافة ورونق وصفاء ، وقصة زاخرة بأسباب التشويق ، خالصة من شوائن التكلف والتزيد . ولمست زواجا رائعة بين

(*) صدر عن الدار التونسية للنشر (جوان 1971) .

التحليل الذكي العميق والكلمة الصائغة الرشيقة ، بين الوصف المشرق والملاحظة الطريفة والروح الانسانية الرفيعة ، فآمنت بأني ازاء أديب بالسليقة أسعفته الملكة واكتملت لديه التجربة وتوفرت له الادوات فصور ما أحس به واعتلج في نفسه وتجاوب مع وجدانه في أمانة ودقة ولطف وباسلوب ينطق على السجية ويطفح بالسلاسة وخفة الروح فيملك لب القارىء ويشيع فيه المرح ويحمله كذلك على التأمل في النفس والوقوف على أحوال الناس والمجتمع ٠

وأثار نشر هذه القصة على صفحات الفكر حفيظة بعض الاساتذة الذين تمسكوا بالقواعد والقوالب وأغفلوا الحياة فظلموا من يخلقون ويبدعون ويجددون فكالوا له الانتقادات كيلا وعدوه من « شرذمة المتطفلين على الادباء والمذبذبين » وذكروه بقول ابن رشيق القيرواني : ان الادب اهون ما يكون عن الجاهل وأهول ما يكون على العالم ٠٠٠ ولكن البشير خريف صمد أمام تقعر المتقعرين وشك المتشككين ولم يحفل بسوء الادب ازاء الادب الحق ولا انساق مع من اشتبهت عليهم القيم والمسالك ٠

وسررت كثيرا عندما قدم البشير خريف ترشحه لنيل جائزة « علي البلهوان » البلدية سنة 1960 ، فأرسل بمخطوط « برق الليل » لانه بذلك أقام الدليل على رباطة الجاش ومضاء العزيمة وبرهن على طول النفس وتواصل الجهد ، ورفض الانحناء أمام دعاة العجز والهزيمة وضحايا الانبتات الثقافي ، الذين لا يعتمدون الا المقلد المستعار من المقاييس الذوقية والقواعد الادبية والفنية وزاد سروري عندما فاز صاحب « برق الليل » بالجائزة ٠ وأشهد للتاريخ ـ بعد مرور احد عشر عاما بوصفي رئيس اللجنة الثقافية لبلدية تونس حينذاك وبالتابع مشرفا على الهيئة المسؤولة عن هذه الجائزة ـ أن الامر لم يكن ميسورا لان بعضهم استهانوا بهذه الرواية التاريخية وتسرعوا في الحكم عليها دون أن يحاولوا الافلات من قيودهم المدرسية ولو استقام لهم ذلك لكرعوا من روائها الشعري وتفاعلوا مع شخصياتها في عظمتهم وحقارتهم ، في آلامهم وآمالهم ، في قدرتهم وعجزهم ، في توقهم الى الاعلى والاجمل ونزوعهم الى المطلق ، ولوجدوا فيها لمسات انسانية خالدة لانها صورت كأحسن ما يكون التصوير العواطف والخلجات البشرية الصميمة العالقة بالكيان الانساني مهما اختلف المكان وتعاقب الزمان ٠ فهي كغيرها من قصص البشير خريف قصة تونسية انسانية يدل على ذلك تجاوب الشعب مع الحلقات الاذاعية المقتبسة منها ٠ ولو كتب لها أن تكون

موضوع شريط سينمائى وتظفر بالمخرج المقتدر لكان لها صدى بعيد يتجاوز حدود بلادنا بدون منازع ٠

وواصل البشير خريف انتاجه ونشرت له « الفكر » أثناء الاعوام العشرة المفارطة غالب القصص التى جمعها فى « مشموم الفل » الذى أتشرف اليوم بالتقديم له ٠

وصدرت له منذ حوالى سنتين ـ بعد مجهودات شاقة وتمشيات متوالية أعرفها حق المعرفة ولعلى شاركت فى بعضها بقسط متواضع ـ رواية طويلة بعنوان « الدقلة فى عراجينها » فكانت تتويجا لاكثر من عشرة أعوام من الجهاد الادبى والمعاناة الفنية دخل البشير خريف ـ بعدها ـ عالم الادب من أوسع أبوابه وأخذ مكانته المرموقة بين رجاله الافذاذ ٠

وان فيما سبق لعبرة لمن يريد أن يعتبر من بين القصاصين التونسيين الشبان الذين أعتقد ان تباشيرهم اوفر وأوفى من تباشير الجيل السابق الذى كان له على كل حال فضل الريادة والسبق ٠ انهم قد يكونون محقين فى تمردهم على قصص من سبقهم ، ولا أقصد بالضرورة أدب البشير خريف ، وعزمهم تجاوزه مضمونا وشكلا ٠ الا انه لا بد لهم أن يذكروا أمورا أهمها :

◆ أن البشير خريف كان فى الستينيات ـ وفى مقدمة نخبة من الأدباء ـ ثائرا بدوره على القصة القديمة ناقما على فنياتها العتيقة وقوالبها الجامدة ، خالقا لغة حية جديدة ، واهبا الكلمات شحنة وجدانية موحية ومحتوى ذهنيا طريفا ٠

◆ وأنه لم يقلد الغير ولا انبهر بالتيارات الحديثة المستوحاة من بيئة غير البيئة التونسية ، ليقال انه منسجم مع أقرب المدارس الادبية الى روح العصر وألصقها بالطبيعة والطلائعية ٠

◆ وهو ـ لئن طالع كثيرا وتغذى بأشهى ثمرات الثقافة الغربية والشرقية ـ لم يرض بالتبعية ولا ظل مشدودا ببصره ووجدانه وعقله الى الشمال أو الى الشرق بل نظر الى نفسه والى مجتمعه واستمد تجربته من تونس ، من البيئة التى عاش فيها طول شبابه وعاشرها معاشرة الصدق وأحبها وأخلص اليها كأصفى وأروع ما تكون المحبة والاخلاص ٠

وهذا معناه ان قصص البشير خريف ليست من النوع الذى ينعته البعض بالفلكلور أو الادب الاقليمي الضيق لانه يتجاوز الالوان المحلية والاطار المحدود وينفذ الى صميم الانسان ، فهو يحب تونس محبته للانسانية ويؤمن بها ايمانه بنفسه ، ويشع فيك هذه المحبة وهذا الايمان ويعرفك بنفسك وبخصائص وطنك معا ، وهو مع هذا يغذيك ويمتعك ويدفعك الى التأمل فى منزلتك ·

وليس معنى ذلك أن أدباءنا الشبان مطالبون بالبقاء فى فلك البشير خريف والتقيد بمدرسته أو بأية مدرسة أخرى ، بل ان فى الابتعاد عنه اخلاصا له وبرا به · ولكنهم اذا راموا الاصالة وطمحوا الى الادب الكبير فهم مضطرون الى رياضة أنفسهم على خصاله : الثقة فى النفس ، ورفض الولاء للاغيار وتحاشى « الخيانة » الحضارية ، والايمان بأننا على قدم التكافؤ الوجدانى والذهنى مع الاجانب ، ومضطرون أيضا الى استيحاء قصتهم ـ وأدبهم بصفة عامة ـ من تونس بقطع النظر عن النمط الفنى الذى يختارونه فى كتابتهم ، بحيث يصورون خصائص بيئتهم ويستمدون أحداثها من محيطهم ويكونون فيها امناء لروح شعبهم ونظرته للوجود ويعمقون انسانيتهم من دون سباحة فى الوهم ولا شطحات فى الزيف ·

ولا عليهم اذا هم نالتهم ـ بعد ذلك ـ التهم، وقسا عليهم النقاد ، وظلمهم نفر من الاساتذة « والاختصاصيين » فطريق الخلق الفنى الحق محفوفة بالاشواك ولن يبنى الادب التونسى الاصيل الا بفضل المؤمنين القادرين على التضحية أى على البذل والعطاء · ومن هذا كان الادب الاصيل من نوع الملحمة لانه جهاد مضن ومخاض هائل وتجاوز متواصل وخلق مستمر للذات وتقييم متجدد للكون وتنغيم لاشواق الوجود !

ولعلى ابتعدت عن القصد من هذه المقدمة اذ قدمت المؤلف اكثر مما درست التأليف واكتفيت بالكشف عن جوانب من قصة ميلاد الروائى البشير خريف دون الغوص على خصائص انتاجه ، وحسبه فضلا أنه بعد المساهمة الحاسمة فى بعث القصة التونسية بعثا غداة الاستقلال وربط الصلة مع على الدوعاجى الذى يعتبر الرائد الاول فى هذا الميدان قد دعم الايمان بالادب التونسى الصميم وهيأ السبيل لجيل السبعينات الطموح كى يركز هذا الفن الطارف من فنون الادب ، ويبوىء القصة التونسية المنزلة اللائقة بين آداب الامم الاخرى ·

ألا ترى أن قضية « المذهب » ثانوية فى آخر الامر ؟ وأن الاهم هو قبل كل شيء ظهور القصاص الاصيل والاديب الكبير ، وهما اللذان يفرضان الاتجاه المتميز ويوحيان للنقاد والدارسين بالمذهب « الجديد » ٠ كما أن الاهم فى اللغة هو الخلق والابداع وما يودعه الكاتب المقتدر فى الكلمات والعبارات من جديد المعاني وطريف المقاصد وحتى المضامين بحيث يبقى للمجامع والاختصاصيين التقعيد والتقنين و « تسجيل ما اشتهر والاعتراف بما فرض نفسه واستقر » !

وبعد فلئن اقتضى الحكم النزيه مجالا بصريا كافيا وابتعادا فى المدى الزمنى فانى مقتنع بأن قصص أخينا فى الادب البشير خريف أصيلة وليست وافدة أو مستوردة ، وأنه واحد من أولئك الذين ينهض بفضلهم الادب التونسى ، لا فقط بما ألف ونشر ، بل كذلك بما لا يزال يخلقه ويواصل معاناته في شتى أبواب الادب ، لانى أنزهه من الغرور بما أفاءت عليه قصصه المنشورة من مجد وخلعت عليه من شهرة ، وأعرف أن من اضطرمت فى نفوسهم النار المقدسة لن تأتى على همتهم صروف الدهر العاتية وشؤون الحياة الزائلة ٠

أما مشموم الفل ! ! ، فانى افضل أن يتشمم القراء شذاه مباشرة !

محمد مزالى

(أفريل ١٩٧١)

ندوة القرّاء

نحتاج لمؤرخ مؤمن

بقلم : أحمد جغام

خلال هذه الظروف التي نريد فيها أن نعود الى أصالتنا ٠٠ نتيجة لوضعنا وسط زحام من التيارات الجارفة ، التي تقذف بشبابنا ـ على الاخص ـ الى ما لا يستقر بعد ؛ وأمام بعض المظاهر المتناقضة من تفسخ سخيف وتقليد أعمى ، الى عزلة وانزواء عن الماضي والمستقبل ٠٠ ثم اللامبالاة المتناهية عن المصير المجهول ٠

في هذا الوضع الحساس ، نحتاج ضمن ما نحتاج الى مؤلفات ناجحة تدون تاريخنا بطريقة صحيحة ولائقة ٠٠ ومثل هذه المؤلفات تفتقدها مكتباتنا بصفة شنيعة ، من جملة ما تفتقد من أشياء أخرى كثيرة هامة وضرورية ٠

إن كتب تاريخ تونس من حيث الكم ، عديدة ، وخاصة منها تلك التي ظهرت بعد الاستقلال ٠٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نذكر كتاب : « تونس عبر التاريخ » وكتاب : « معركة الشرق والغرب ، أو مراحل الحركة القومية التونسية » وغيرهما ٠٠ ولكن ٠٠ ليس مثل تلك هو المطلوب ٠

إن مثل هذه الكتب والمؤلفات الكثيرة صنفت بطريقة جافة ، وإن كانت تحتوي على حقائق تاريخية ، وهذا أقل ما تقدمه كتب التاريخ من بين ما تقدم ، ولكنها حقائق ميتة كالأرقام والاحصائيات ، تبدو مبتورة من بدايتها الى نهايتها في اكثر الاحيان ٠٠ لذلك كانت هذه الكتب بلا روح خالية من الحياة ، الى الدرجة التي تحس فيها أنك تقرأ عن تاريخ شعب بعيد عنك بعد تاريخ الاغريق أو تاريخ الرومان ٠٠ وهذا هو منتهى اللاصدق والتكلف وعدم الاخلاص للقلم والوطن ، والحقائق الجامدة هي التي تبدو للقارىء حقائق ناقصة ٠٠ والحقائق الكاملة لا تتسنى ولا تصدر إلا من كاتب يؤمن بما يكتب الى حد

الهوس ، عندئذ يستطيع مثل هذا الكاتب أن يؤرخ ويكتب الحقائق الكبرى بصغائرها ، وهى التى تحس فيها وأنت تقرأ قصة تاريخ أى فرد وكأنها قصة تاريخ الشعب بكامله ، وتقرأ فيها قصة الشعب وكأنها قصة كل الشعوب .

هذا هو النقص الشنيع الذى تتصف به كتب تاريخنا .

أما أحداث التاريخ فى حد ذاتها صحيحة كانت أو مزيفة ، فهذا أتركه لغيرى من المؤرخين المختصين ..

والذى أرجوه هو أن أرى جبرتى تونسيا حديثا ، يضرب فى صفحات الحاضر بحثا عن الماضى ويجوب آفاق الماضى ليضع يده على جوهر واقعنا الحاضر بمره وجماله .

كم أود أن أرى « ابن أبى ضياف » حديثا .. وعندما أقول حديثا ، أعنى : يكتب بأسلوب القرن العشرين ، غير ذلك الذى يبتدى فقرته بـ : « .. وسمعت مولانا ، أدام الله سعادته .. » ، أعنى تاريخا يسجل للشعب وعليه وكذلك للملك وعليه ،، أعلم أن ذلك صعب ، فى القرن العشرين ايضا .. لذلك مثل هذه المؤلفات قليلة ، أو قل مفقودة ..

وكم أود أن أجد بين يدى فى يوم قريب كتابا يسجل قصة بلادى الحقيقية ، لأحس بما أقرأه فيها أنه جزء من لحمى ، جزء منى أنا ..

وكم أود ذلك ، رحمة بالشباب الذى يريد أن يقرأ .. وتيسيرا له حينما يريد أن يكون أصيلا ، صامدا أمام التيارات يتطلع عليها دون أن تعصف به الى حيث هى تشاء ، بل يتطور ويتحول الى أين يشاء الوطن .

ح. أ. ج.
فى 15 افريل 1971

ندوة القراء

الى ناقد انباعي

بقلم : محمد كمال مدائني

الشعر ٠٠ والأدب بصفة أجمل ، كائن متحرك ، ينمو ويتوالد ، ويتخذ شتى الأشكال ، وشتى المقاييس والصور ، فى سبيل أفق أروع ، وصحو أجلى وآنق ٠٠٠

و (الحركية) فى الأدب ، مبدأ (إغرائى) لا أعرف كيف أتملص منه ، هو منى فى الصميم ، أستنشقه ، وأصعده ، وأردده فى أحلامى ٠٠ **لم اعرف الاطمئنان الفنى – حياتى –** ٠

كنت أحلم بعنف ٠٠ أهدم بعنف ٠٠ أشعر بعنف ٠٠ أتحدى كل النظم الأدبية التى حفظتها ، ورددتها على مسامعى رياح الدنيا قاطبة ٠

لم أطمئن فنيا ٠٠

فثرت بهمة النار والأعاصير ٠٠ أدفع باب المستحيل بقبضة من عزم ودم وأطل على الحياة الكبرى ، فاندمج تـوا فى قوانينها الثابتة ، وأغوص فى جذورها ، وأكشف عن هيولاها ٠٠٠

إنى أحلم بفن (مطلق) ، أدق وأعمق مما أتصور ٠٠٠ مما يمكن أن يتصور ٠٠٠ أحلم بقصيدة عذراء ، لم تجد بأطيب منها البساتين ٠٠ ولا بأعف ٠٠

وبكلمة : **أنا أحلم بقصيدة (مستحيلة)** ٠٠ قصيدة لا بعدها بعد ٠٠٠ هى الابداع ٠٠ ولا نكران !!٠٠

فلك القصيدة الحرم

لقصائدى الشعرية ٠٠ كما لكل قصائد الدنيا ٠٠ (كون شعرى خاص)٠٠ وهو ما أسميه ٠٠ (فلك القصيدة الحرم) ٠٠ كون كامل من (الأساطير ٠٠ والأحلام ٠٠٠ والظلال ٠٠٠ والخيالات ٠٠٠ والحب ٠٠٠ واللاوعى ٠٠٠)

وأنا ٠٠ بهذا الفلك الأسطورى العجيب ، أبحث عن قارىء من طراز آخر٠٠ **أبحث عن قارىء ٠٠٠٠٠ شاعر !!٠٠**

إذن ٠٠ فالقصيدة تمثل (نقطة التحام) وفرصة التقاء ، بين الواضع من جهة تكييف الجو الشعرى المناسب ، والقارىء ـ من جهة أخرى ـ والذى تتمثل وظيفته فى أن يهتدى الى (المفتاح السحرى) الذى يمكنه من (الولوج) فى عالم الجمال ٠٠ والدفء ٠٠ والقداسة ٠٠

من اللفظة إلى الفلك

مهمة اللفظة فى القصيدة مهمة شاقة ٠٠ وعسيرة جدا ٠٠ وهذا يحتاج من الواضع الى حد أسمى من (التمرس) الفنى الصادق ؛ والموهبة العنيفة الحادة٠٠

فاللفظة فى حد ذاتها ـ لا تعنى شيئا ـ ولا (تبوح) بشىء ٠٠ إن جازت العبارة ـ ولكنها (تنويـ)ـه ، وهى كما يقول مالارميه : (لا تصور الشىء ، بل الأثر الذى يحدثه) ٠

يقول نزار قبانى فى إحدى قصائده :

« ونهدك تحت ارتفاف القميص   شهى شهى كطعنة خنجر »

ويمكن لنا كذلك أن نستشهد بالشاعر العبقرى رامبو وخاصة بفصله فى الجحيم ، وباشراقاته وبقاربه السكران ، وكذلك بفرلين ٠٠٠

شفافية اللفظة ٠٠ تجعلك تنفذ فيها ، وتتخللها ثم (تجتازها) ٠٠٠ فتتمكن من (الولوج الى داخل الفلك الشعرى) ٠

فوجود العبارة ، وسيلة بحت ، والعبارة الناجحة ، هى تلك التى : **خبر الشاعر مواهبها التبليغية ، وأحسن توزيع الأدوار على ألفاظ القصيد بكيفية تجعل كل لفظة فى بيئتها الفنية ، أو التاريخية أو الحضارية ، التى يجب أن تكون فيها ٠**

فاذا صادفت لفظة ، وعجبت لغموضها ، أو لسذاجتها أو لنبلها ٠٠٠ ثق أنها أدت مهمتها ـ تلك التى قصدها الواضع ـ باخلاص وتفنن ، ولتجهر باعجابك ، ولتصفق لها ٠٠

شعرى ٠٠ والنقد المسمم

واللفظة ـ فى قصائدى ـ لشفافيتها ٠٠ لا تبيح لك كونها السحرى ، إن أنت أعملت فيها بكل ـ فظاظة ووحشية ـ (معول النقد والتشريح) ٠٠٠ إن

أنت زجبت بها فى غياهب مخابرك ومجاهرك ، وقتلتها درسا ، وبحثا ، وشرحا ، وتمحيصا ، وتقييما ، وتحليلا ، وتركيبا ،،، الخ ... الخ ...
لا .. لا ..

لا تقف عند اللفظة (كمادة عقلانية) من حيث هى (مدلول منطقى) .. لكن تحدها .. الى حيث هى .. (نوطة موسيقية) .. فى سمفونية خالدة ، لا أحلى ، ولا أسمح ..

وقد قال كروتشه : « على الناقد أن يقف أمام مبدعات الفن ، موقف المتعبد ، لا موقف القاضى أو موقف الناصح » .

قصائدى .. كالحب هى ..

قصائدى كالحب هى .. قد لا تفهمها .. ولكنك تحسها ؛ وتشعر بخفقانها بين أعشار قلبك ، كأنها تبحث عن وتر خفى .. لن توقظه إلا هى ..

لقد قلت فى مجال آخر :

« إفسحوا المجال للكبد هذه المرة .. وأنتم تقرؤون هذه القصيدة إستمعوا إلى نبضات الكلمة ، وهى تحن ، وترجو ، وتتوجع ؛ وانظروا إلى مواكب المعانى ، ومهرجانات الحروف ، وهى تزغرد وتصخب ... »

ماذا ؟؟.

إنكم على موعد مع رقصة كمانية ، وشطحة بيانو .. لا أغرى ، ولا أجود .. صدقونى .. إن أنا قلت لكم : لا مجال للعقل فى شعرى ، **أنا اشعر ، ولا أعقل ، ولا أستوعب شيئا سوى الرقص ، والعطر ، والكبريت** ، أنا بلا أعصاب ، بلا جفون ، أمام نجمة عاجية ذات أعصاب ..

فاغفروا لى » .

م. ك. م.
عمادة القصرين ــ القصرين

تعليق : هى مجموعة آراء شخصية فى الشعر ملخصة من مجموعة مناقشات دارت بينى وبين الشاعر اللغمانى فى برنامج « هواة الادب » ، فهى إذن تلخيص لردودى على « اللغمانى » وقد ضمنتها كما قلت آراء شخصية فى الشعر .

غير العمودي والحر
هذه الزيتونة ...!!

محاولة في ابعاد حركة غير العمودى والحر عن الشعر المنثور

بقلم : محمد علي اليوسفي

« زيتونة لا شرقية ولا غربية »

ذلك ما يجب أن نسلم به لشعر « غير العمودى والحر » لانه قد عن لبعضهم أن يلحقه بقصائد النثر فى لبنان أو « قصيدة النثر » فى الادب الفرنسى ٠

والحقيقة أن قصيدة النثر فى لبنان هى حركة متأثرة بالحركة الغربية قلبا وقالبا وقد يكون السبب هو اطلاع اللبنانيين على الادب الغربى وتأثرهم به تأثـرا مباشرا ٠

والقصيدة النثرية تمتاز بكثافة وفكرة قائمة بذاتها وهى حسب تعريف للشاعر أدونيس « شاملة متمركزة كثيفة ذات اطار هى عالم مغلق ٠٠٠ وكتلة مشعة بلا نهاية من الايحاءات قادرة أن تهز كياننا فى اعماقه (I) » وهى وان امتازت بهذه الكثافة والايحاء فانها خالية تماما من الموسيقى وهذا ما من شأنه أن يبعد غير العمودى والحر عن الشعر المنثور لان غير العمودى والحر (ما أطول هذه التسمية سامحكم الله !) يمتاز ـ رغم هجره للعروض والتفعيله بموسيقى داخلية هى تطور حقيقى للشعر هذا التطور الذى « يقع على صعيد الموسيقى الشعرية » (2) وهكذا تم هذا التطور لغير العمودى والحر بالتخلى عن العروض تماما٠ومحاولة إيجاد موسيقى أخرى وذلك لكىلايتسم هذا الشعر ولا يلحق بالنثرية البسيطة وفى هذا المجال نذكر محاولات الشابين ابن عمر وبوحوش بمجلة الفكر لايجاد أو استخلاص موسيقى شعرية جديدة وعلى القارىء الرجوع اليها (3)

وفى الحقيقة فان هذه الموسيقى المتحررة موجودة فعلا فى هذا الشعر وهى تتمثل سواء فى القافية أو فى الكمية الصوتية للمقاطع التى يأنس اليها السمع اذا تجرد من موسيقى الخليل فلنستمع الى هذا المقطع من قصيد جسمك (4) للزناد

جسمك تجسيمى وتقسيمى
جسمك تقويمى وتنظيمى
جسمك تسميمى وتنويمى
جسمك تطعيمى وتنغيمى

فلا يكاد يمر « البيت » الاول حتى تتوالى الابيات على نفس النغمة مما يخلق توقيعا موحدا وقافية (فى أول البيت وآخره !) نستأنس بها شيئا فشيئا والامثلة كثيرة فى هذا الصدد ، وانما الذى أردت أن أبينه هو أن غير العمودى والحر يختلف عن القصيدة النثرية بمحاولة الالتزام بموسيقى خاصة كما ذكرنا .

أما القصيدة النثرية فانها فاقدة للموسيقى ولو الداخلية . يقول أنسى الحاج وهو من رواد القصيد النثرى . متحدثا عن المرأة :

طلعت من فخذ الهاجس اليك وأسطورتى ترن على بلاط الليل .
اسكتينى يا من تزينها قشعريرتى
ولينطلق عرسنا من الابواب الاخرى ... (5) .

هذا هو القصيد النثرى فهو حقيقة يعبر عن عالم مظلم متشائم نوعا ما بدون أية نغمة مميزة . بل هو نثر يمتاز عن النثر بضبابية قاتمة ورؤية بعيدة واحساس عاطفى . ولكنه لا يصل الى مرتبة الشعر اذا اعتبرنا موسيقاه.

ولعل ما يقرب بين القصيد النثرى وغير العمودى والحر هو هذا الكيان القائم بذاته فالقصيدة فى كلا الشعرين لاتفهم على كونها أجزاء ورؤى متعددة بل هى كائن حى قائم بذاته وبكل عناصره وأجزائه .

الا ان ذلك ليس من الاسباب المقربة بين هذين الشعرين لانها تنطبق على انواع أخرى من الادب كالتجريدى والفن للفن بقدرما .

والمطلع على الشعر النثرى وخاصة قصائد أنسى الحاج يلاحظ أن هذا النوع من الشعر مفرط فى « الانا » فهو يمثل عالما داخليا نفسيا يتسم بالرفض والتغيير ولكن على صعيد واحد يخص الشاعر وأحاسيسه النفسية الخاصة ، والصور التى يأتى بها أنسى الحاج صور داخلية مغلقة وقاتمة .

فهو يحاول فى كل ما يكتب أن يخرج من حالة هو فيها كالتفكك والوحدة والجنس والصمت والتناقض وغير ذلك يقول فى قصائد من ديوانه « لن » :

« اهرب أين ؟ ... (6) »
« أختبىء تحت امرأتى انفعل واشتعل »
ويقـول فى قصيدته « لـــــن »

« ارخيتنى ياقشة البحر لم ترخينى،لا فرق اغرق فهذا هو ، أغرق أو أحلق أو أنام . لا وجهة لا وجهة استوطن العافية ، اهتك الستر .. »

وهكذا نلاحظ هذا العالم الذى يعيش فيه أنسى الحاج رائد القصيد المنثور فى ديوانه « لن » وفى الديوان « الرأس المقطوع » (5) لا يتخلص الشاعر نفسه من أفكاره القاتمة بل ويعززها بثورة ولا يكون نصيبهـا الا الفشـل والسخرية دائما .

أما فى قصائد غير العمودى والحر فاننا نلاحظ تعلقا بالحياة رغم مهازلهـا ومشاكلها بل ونجد محاولات لتغيير الوجود تغييرا جذريا .

عذبـة عذبـة عذبـة
كانت ممرضتى
تـرشنى بضحكتهـا الصباحية
ترشـــنى كل يـوم
تحـنو على
وكنت مغتربـا حزيـــن

ذلك ما قاله الهمامى وهو على فراش مرضه (7) وهذا ما تقوله فضيلـــة الشابى :

فلسطـين
إنـا هنـا
فلسطـــين
إنا هنا نقتات بالجوع .. بالحنين ..
فلسطـــــين
سوف نفتك بالحقيقة
من جوف السنين ! (8)

وهكذا فان غير العمودى والحر متفتح على العالم وعلى مشاكله وان لازمتـه ضبابية وانقسام فانما هما من جراء ما يحيط بالعالم من هول ودمار .

وهناك نقطة أخرى أريد التعرض لها وهى مشكلة اللغة فهى تختلف فى كلا الشعرين ٠

اللغة فى غير العمودى والحر سهلة بسيطة خالية من الكليشيات القديمة فيها **تفجير وخلق لصور باطنية وخارجية** ٠ وهى لغة تخاطب ايضا أفـــراد الشعب وتنزل الى مستواهم (9) **وتتحدث عنهم** ٠

بينما اللغة فى القصيد النثرى لغة مبهمة تـارة صافيـة تـارة أخـــرى « **ارستقراطية** » محملة بكثير من المعانى التى يفرضها الشاعر عليها حتى يجعلها **غامضة غريبة** ٠ ومنفصلة تعبر عن لحظات غير مرتبطة :

« **منعت النساء من الانتحار بالحية ، رميت الرسائل الـزرق بالرصاص** بعد ما الحاكم محاها ٠ وفى الساحة كبتوا النار بالزيزفون ، وعنـد المساء لم يبق ٠ نعس العالم ونام ٠

خرج العاشـق من السيف » (5)

من هنا وجب على كل ذى بصيرة أن ينقطع عن الادعاء والقول بأن **غيـــر العمودى والحر** هو نثر بحت ٠ نعم انه غير عمودى وغير حر وغير نثـرى أيضا ٠ وان وجدت له تسمية فهى حتما لن تكون تسمية من **قبيل الشعـر النثرى** لاننا بينا فى مقالنا هذا عدة فوارق بين هـذين الشعـرين **أهمهـا** تلك الموسيقى الباطنية التى يتمتع بها غير العمودى والحر ٠ وقد كثرت هذه **الايام الآراء حول** تغيير اسم هذا الشعر لانه منفى أولا وطويل **ثانيا والكلمة لاصحابه على ما أعتقد** ٠

محمـد علي اليوسفي
باجة فى 30 ـ 3 1971

المراجـــع

(1) أدونيس ٠ مجلة شعر ٠ بيروت 1960
(2) موسيقى شعرية جديدة الفكر العدد 4 جانفى 1970 ٠
(3) نفس المرجع ثم العـدد المـــوالى ٠
(4) « المجزوم بلم » ص 43 ديوان الزناد ٠
(5) ديوان « الرأس المقطوع » لانسى الحاج بيروت 1963 عن دار مجلة شعر
(6) ديوان « لن » عن دار مجلة شعر بيروت 1960
(7) الفكر عدد 3 ديسمبـــر 1969
(8) الفكر العدد 2 نوفمبـر 1969
(9) انظر قصائد الزناد والهمامى ٠

عيناك والنار والكلمات ...

شعر : علي الشملي

حينما لا تنجب الاغصان فى بستاننا الازهار
سيكون السحر فى عينيك واحة اخضرار
وعلى ضفافها يا حلوتى سأكتب الاشعار ...

حينما ترجمنا السماء بالاحجار
يوم لا نفتح قلبنا لمولد النهار
سيكون السحر فى عينيك نار
وصلاة فى زوايا كل دار
تتحدى فى خشوع ثورة الاقدار
وقصيدة كتبتها على كل جدار
بدمى ، بالحبر ، بالتراب بالاظفار ...

حينما تفيض فى بلادنا البحار
يوم لا ننفض عن وجوهنا الغبار
سيكون الحب فى عينيك مرفأ انتصار
وشراعا لم يزل يغالب الاعصار
وانا يا حلوتى اهذى مع الاوتار
اشتهى لو أن فى عينيك يثمر الحنان
فرع زيتون وباقة ريحان
وعناقيد من الاعناب والرمان
فى مواسم الجفاف والاحزان ...

كنت يا زنبقتى قبل احتراقى
فى مزارع الضباب

اشتهى أن افتح الابواب
بقصائدى

وأرى عينيك فى أشعة السحاب
مهرجانا فى حدائق الزمان
لأعيش يا صغيرتى بلا اتعاب
ومعا نمضى الى مرافىء الامان
فانا وانت وانتفاضة الاعصاب
كلمات خفقت فى لحظة اغتراب ...

أنا يا معبودتى ضيعت فى عينيك قلبى
فيهما ابحرت ملاحا الى جنة حبى
قبلتى عيناك يا اجمل ما فى الشرق والغرب ،
يا لخوفى من ضياعى فى بحار الشك والغيب
آه لو ألقاك يا أحلى من الاشواق فى دربى
يا شعاع الخير والامطار فى موسم الجدب ...
فى تهاويم العصافير وفى اشراقة الفجر
فى أنين الناى ، فى همس السواقى ، فى احتراق الفكر
فى اشتياقى كلما احسست بالايام تجرى
كنت يا معبودتى اعذب الالحان فى شعرى
فرحة فى موكب الاشواق يهتز لها عمرى
وابتسامة على شفاه عالم بلا سحر ...

كيف أنسى وحنينى يعصف بى شوقا اليك
كيف أنسى ورجائى ثورة أطفأتها بين يديك
لا ولن أنساك إنى لم أزل أحنو عليك
لم تزل تشرق شمسى من بحار مقلتيك ...

ع. ش.

أضواء الفكر

• مؤتمر الأدباء العرب الثامن ومهرجان الشعر العاشر :

تقرر أن ينعقد مؤتمر الأدباء العرب الثامن بدمشق من 27 نوفمبر الى غرة ديسمبر 1971 وعين الموضوع الرئيسي للمؤتمر كما يلي :

الأديب العربي في معركة المصير :

وتتفرع عنه موضوعات ثلاثة أخرى وهي :

1) الأديب العربي بين الحرية والالتزام في معركة المصير •
2) الأديب العربي بين التراث والمعاصرة في معركة المصير •
3) الأداء والتعبير الفني في معركة المصير •

كما أنه تقرر أن تبحث مواضيع أخرى تتناول المشاكل العملية والتنظيمية لواقع الأدباء العرب وتتفرع الى :

1) مشاكل النشر والتوزيع •
2) مطالب الاديب العربي المهنية •
3) توحيد التشريعات المتعلقة بحقوق الكتاب العرب •
4) تنظيم العلاقات بين اتحادات الكتاب العرب •

وهناك أيضا موضوع ثالث هام وهو قضايا الدفاع عن الادباء العرب في الارض المحتلة •

وسينتظم في نفس الفترة مهرجان الشعر العاشر خلافا للعادة التي اتبعت في المؤتمرات الاخرى اذ كان ينتظم عقب المؤتمر بالذات •

وقد علمنا أن الموضوع الذي سيشارك به الوفد التونسي هو : الاداء والتعبير الفني في معركة المصير وذلك حسب رغبة الاتحاد العام للادباء العرب •

• نشريات مركز الوثائق القومية :

نشر مركز الوثائق القومية التابع لوزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، عددا خاصا من مجلة « الانباء التونسية » احتوى على :

• مقدمة بقلم السيد محمد الدباب ـ تناول فيها تطور مركز الوثائق القومية وتنظيمه ثم السياسة التونسية فى ميدان التوثيق ·

• نظرة على المجموعات الموجودة بالمركز والمتكونة من : جرائد ، مجلات ، كتب ، ملفات ، صور ، « ميكرو فيلم » ومراجع مختلفة تهم البلدان الاجنبية ، تسجيل الاحداث الواردة فى الصحف والمجلات والكتب ·

• قائمة فى الآلات الفنية لتصوير الوثائق وطبعها وحفظها مشفوعة بصور·

• قائمة شاملة للصحف والمجلات والكتب التونسية الموجودة بالمركز ·

• النشاط المبذول لتنسيق الاعمال بين مركز الوثائق القومية ومصالح الوثائق الاخرى فى تونس ·

وفى هذا العمل فائدة كبرى للباحثين والدارسين ·

◆ **شهادة أستاذ بالجامعة :**

بعد مرور 15 عاما على الاستقلال و 13 عاما على إصلاح التعليم يصرح الاستاذ فرحات الدشراوى فى « فكرة الاسبوع » (الملحق الثقافى لجريدة « العمل » بتاريخ 1971/5/28) :

« لم ازل منذ سنتين القى الصعاب فى تدريس مسائل التفكير الدينى بكلية الآداب ، لا سيما خلال الاشهر الاولى ، فلا اكاد اجد اذاك عند الطلبة من زاد الثقافة ما يؤهلهم للبحث فى الدين والخوض فى مسائل الاعتقاد ، بل انه قلما حصل لبعضهم من مرحلة التعليم الثانوى ما ينبغى ان يحصل لمثلهم من المعرفة بمبادىء العلوم الاسلامية ، وتاريخ الاسلام وحضارته ·

وذلك ان حظ العلوم الاسلامية وحضارة الاسلام من التدريس اثناء المرحلة الثانوية حظ قليل جدا ، فلا يكاد التلميذ يحصل من ذلك شيئا يذكر ، وقلما يعرف لعلم الفقه معنى ، وقد لا يميز بين السنة وعلم الحديث ، ولا يعلم فرقا واضحا بين المذاهب ، بل انه كثيرا ما يخلط بين خلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس ، اما دول المغرب فقلما يعرف كيف قامت ، او انقرضت ، بل انه كثيرا ما يلتبس عليه امر الدولة الصنهاجية بامر الدولة الحفصية » ·

ونحن نكتفى بنقل هذه الشهادة من دون تعليق اذ طالما عبرنا عن رأينا فى محتوى التعليم الثانوى ومناهجه وغاياته !!···